تابع الجديد والحصري على موقع الألوكة
www.alukah.net

رؤى فكريـــة

لقضايا عصرية

إعداد

د. زيــد بن محمد الرمــاني
المستشار الاقتصادي عضو هيئة التدريس
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

دار الورقات العلمية للنشر والتوزيع

www.alukah.net

ح دار الورقات للنشر والتوزيع 1426هـ/2005م
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الرماني، زيد بن محمد
رؤى فكرية لقضايا عصرية - الرياض.
... ص 17 × 24سم
ردمك : × - 00 - 878 - 9960
1- 2- أ- العنوان.
ديوى 000 00/000

رقم الإيداع : 0000 /00
ردمك : ×- 00- 000 – 9960

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى 1426هـ/2005م

دار الورقات العلمية للنشر والتوزيع

ص.ب الرياض
تليفون: 4228837 فاكس : 2983407

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله وكفى وصلاةً وسلاماً على عبده المصطفى.

وبعد:

فإنَّ واقعنا المعاصر في شتى بقاع أمتنا الإسلامية في أمس الحاجة إلى التذكير بأسسه الفكرية، ومبادئه الثقافية، ومقوماته الاجتماعية، وثوابته الاقتصادية.

ولا غرو، فإنَّ الأزمات تترى عاماً بعد عام، بطالة، فقر، استدانة، مخدرات، انحراف، حروب، استنزاف، أمراض، تفكك، انفجار معلوماتي.

لذا، كان دور المصلحين والمربين والعلماء والمفكرين آكد، لتوعية مجتمعاتهم، وإثارة الوعي بقضايا أمتهم، وتنوير عقول الناس.

من هنا ودعماً لتلك الأهداف السامية، فإني أقدِّم هذه الرؤى الفكرية، راغباً في المساهمة في كشف بعض أزماتنا، والتنبيه على بعض آلامنا، والتأكيد على بعض آمالنا، والدعوة إلى معالجة بعض مشكلاتنا، والوعي ببعض قضايانا المستجدة.

والله أسأل أن يوفِّق الغايات وينجح المقاصد ويخلص الأعمال.

الفصل الأول : رؤى علمية

هـويـة الأمـة

يمتد العالم الإسلامي على مساحة واسعة، تضم أجناساً عديدة، وثقافات ولغات عدة، وأذواقاً وعادات، تختلف كل الاختلاف بعضها عن بعض، لدرجة أنَّ بعضهم يذهب إلى أنَّ التنوع فيه هو القاعدة لا الاستثناء. ولكن، في واقع الأمر، فإنَّ هذا الاختلاف لا يشكل عقبة تذكر أمام الهوية الإسلامية التي تجعل من المسلمين وحدة متماسكة، مهما اختلفت أجناسهم وألوانهم ولغاتهم. يقول سبحانه في محكم كتابه: ﴿ إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء/92. ويقول رسول الهدى عليه الصلاة والسلام (**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**) متفق عليه.

كما أنَّ كتاب الموادعة – الذي كتبه صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار من جهة، وساكني المدينة من جهة أخرى – يُعدُّ وثيقة إعلان وحدة الأمة الإسلامية. وحسب تعبير أحمد القديدي فإنَّ ما يجمع العالم الإسلامي هو المنقذ من الضلال، إنها تلك الروح الحية المتوهجة من سراييفو بقلب أوروبا، إلى

تمبكتو بقلب إفريقيا، حيث ينشط المسلمون بقلب أمريكا، ومن معهد الثقافة الإسلامية ببكين إلى مركز الدراسات الإسلامية بواشنطن، ومن إسلامبول إلى ألف جمعية إسلامية ناشطة في مدن أوروبا الغربية، إنها الأشواق والطموحات والتطلعات نفسها، تهز الضمائر وتحرك السرائر، وحدة مثالية وروح إسلامية رائعة، مهما اختلفت الألوان والجنسيات.

إنَّ الأمة في المفهوم الإسلامي، كيان يجمع كل المسلمين. وهكذا فإنَّ مفهوم الأمة الإسلامية أكثر شمولية من مفهوم العالم الإسلامي، فهو يتسع حتى يشمل المسلمين جميعاً في أركان العالم وأقطاره. وبعبارة أخرى فإنَّ مفهوم العالم الإسلامي مفهوم جغرافي، وهو كيان يضم الأرض والناس، بينما الأمة الإسلامية كيان يحتوي الناس فقط، ومعنى هذا أنَّ بينهما عموماً وخصوصاً، فالعالم الإسلامي هو الأمة، وليست الأمة الإسلامية العالم الإسلامي.

وبعد هذه الجولة المفاهيمية يبقى السؤال المهم عن هوية الأمة الإسلامية، إلى أين تتجه، إلى الاستقلال أم التبعية؟ بَيْدَ أنا نؤكد أنَّ هذه الأمة حظيت بعقيدة إسلامية صافية، حافظت على أواصر الوحدة، شهد بذلك البعيد قبل القريب.

الاستشراق والاستغراب

قيل: إنَّ حركة الاستشراق ظهرت في وقت متأخر، وأخذت الطابع العلمي المجرد عن الأهواء والأغراض. هذا ما يريد المستشرقون إثباته لأنفسهم. ولكنهم في الواقع غير ذلك، فهم إنما يتعلمون علوم الشرق من أجل معرفة هذه العلوم ومعرفة خفاياها، ومن ثم يبحثوا عن بعض المنافذ، للتنقص من هذه العلوم؛ لتزهيد أهلها فيها، ويحاولوا كذلك إحلال العلوم والمعارف والثقافة والفنون الغربية محل حضارة ومعارف الأمم الأخرى.

وقد قيل: إنَّ نشأة الاستشراق كانت بقرار كنسي في المجمع الديني في فينا عام 1312م، وقيل: إنَّ أسباب نشأة الاستشراق تتمثل في العداء للإسلام، وفشل الحروب الصليبية. وقيل: إنَّ أهم أهداف الاستشراق الهدف الديني بمعنى محاربة الدين الإسلامي، ومحاولة تنصير المسلمين.

جاء في مذكرة رفعها جمع من العلماء الغربيين من جامعة كمبردج البريطانية سنة 1639م إلى المسؤولين في الحكومة البريطانية، طالبوا فيها بإنشاء كرسي للدراسات العربية الإسلامية، في هذه الجامعة، جاء في هذه المذكرة: (يضع المركز نصب عينيه خدمة مصالح الملك والدولة، وذلك بالعمل من أجل إزدهار تجارتنا

مع الأقطار الشرقية، وتوسيع حدود الكنيسة إذا شاء الله في الوقت المناسب، ونشر هدي الدين المسيحي بين أولئك الذين لا يزالون يتخبطون في ظلمات الجهالة).

لذا، قيل إنَّ من أبرز وسائل المستشرقين لتحقيق أهدافهم: تأليف الكتب وإنشاء الجمعيات، وإصدار المجلات، وإنشاء المؤسسات التعليمية، وعقد المؤتمرات ... إلخ.

كما قيل إنَّ من أساليب المستشرقين الرئيسة لتحقيق أهدافهم، إثارة الشك والحيرة في نفس المثقف المسلم، والتركيز على نقد جوانب معينة من الإسلام حتى تثبت في الأذهان مفاهيم مشوهة، وتسريب انحرافات وتفسيرات وتخريجات لبعض أحكام الإسلام.

هنا، فإني أدعو، وأتساءل عن أهمية إجراء دراسات عن الاستغراب، قياساً على دراسات الاستشراق؟؟ مع يقيني أنَّ جميع تلك الدراسات مهمة في هذا العصر.

نزيـف العقـول

تفقـد البلـدان الإسـلامية آلاف الأشـخاص ذوي المهـارات كـل سـنة، مهندسين، وأطباء، وعلماء، وفنيين. وتُعدُّ هذه الهجرة استنزافاً لأهم ثروة تملكها البلدان الإسلامية، لأنَّ هؤلاء المهاجرين يمثلون المورد الأكثر ندرة لتلك الأقطار، وتكاليف تعليمهم مرتفعة جداً. ثم إنَّ أثر هذه الهجرة على عرقلة التنمية في الدول النامية واضح، وأكيد، وربما كان الإنجليز على حق عندما أطلقوا على هذه الظاهرة: (ظاهرة نزيف العقول). إذ ليس أخطر على الإنسان من النزيف، إنه غير مؤلم، ولكن الموت بسببه محقق.

وتعتبر اليونيتار (معهد الأمم المتحدة للتدريب والبحث) أول من استخدم عبارة نزيف العقول في دراساتها. وتطلق في المقابل الأونكتاد على هذه الظاهرة اسم (النقل العكسي للتقنية) لأنها تعتقد أنَّ العالم الثالث يفقد العناصر القادرة على تحقيق التنمية، والتي تملك المقدرة والمعرفة العلمية والتقنية. ومن هنا فإنَّ هجرتها إلى الدول المتقدمة تعتبر نقلا للتقنية من الدول النامية إلى الدول المتقدمة. إنَّ النبغاء من العلماء طائفة صغيرة جداً بالنظر لمجموع الأمة، ولكنهم هم الذين يقاس بهم مستوى البلاد من التنمية والتطور.

وبلغة الأرقام والإحصاءات نقول إنَّ عدد الأطباء العرب في بريطانيا قد بلغ (4600) طبيباً، و 35٪ من أطباء لندن وحدها من العرب. كما أنَّ عدد الأطباء الإيرانيين المسلمين العاملين في نيويورك وحدها يفوق عدد الأطباء الإيرانيين بداخل إيران. وتعد الإحصاءات المصرية خسارتها من عقولها بـ (350) ألف استقرت الغالبية العظمى منهم في البلاد المتقدمة.

وفي دراسة لليونسكو اتضح أنَّ حوالي (10) آلاف من أرباب المهن العرب، وعلى رأسهم العلماء والمهندسون والأطباء والخبراء والطلاب، يهاجرون كل عام من ثمانية بلدان عربية وهي: (لبنان – وسوريا – والأردن – ومصر – وتونس – والمغرب – والجزائر). ولا يمكن بأيّ حال تعويض هذه الخسائر جراء هذا الاستنزاف. لذا، تكاد تتفق أغلب التفسيرات والتحليلات الخاصة بدراسة أسباب نزيف العقول في البلدان الإسلامية على أنَّ عوامل الطرد من هذه البلدان قياساً إلى عوامل الجذب في البلدان الغربية أبرز سبب لذلك النزيف. ومما قيل في هذا (المواطنون يُعبِّرون أحياناً عن أصواتهم بأقدامهم).

الثقافة والمثقف

إنَّ الثقافة تعتبر – على نحو ما – متفقة بين المجتمعات، وعلى نحو ما مختلفة كذلك.

فإذا نظرنا إليها على قدر عال من التجريد، نجد قدراً كبيراً من التشابه بين الثقافات.

أو بمعنى آخر إنه الاتفاق في العموميات واختلاف في التفاصيل. وإذا كانت الثقافة قد حظيت في الماضي باهتمام علماء الانثروبولوجيا، الذين توفروا على دراسة المجتمعات البدائية، فإنَّ هذه الظاهرة قد أصبحت موضوعاً للعديد من العلوم الاجتماعية، في مقدمتها علم الاجتماع، نسبة للارتباط بين الثقافة والمجتمع. إذ تلعب الثقافة دوراً مهماً في حياة الإنسان، بل هي جزء مهم في حياة الإنسان كعضو في المجتمع.

ومن هنا، احتلت الثقافة مكاناً بارزاً في دراسات علم الاجتماع والانثربولوجيا الثقافية والاجتماعية، إذ بغير هذه الدراسة لا يستطيع أيّ باحث أن يتعرف على الفرد أو الجماعة أو المجتمع أو يفرق بينهم. إنَّ الثقافة بصفة عامة تساعد على التمييز بين فرد وآخر، وبين جماعة وأخرى، وبين مجتمع وآخر، بل إنَّ الثقافة هي التي تُميِّز الجنس البشري عن غيره من الأجناس، لأن الثقافة هي

التي تؤكد الصفة الإنسانية في الجنس البشري. إزاء هذه الأهمية الاجتماعية والعلمية للثقافة، حاول كثير من العلماء الاجتماعيين منذ القرن الماضي، ومازالوا يحاولون الوصول إلى تعريف أو تحديد لمفهوم الثقافة. وهو أمر ليس باليسير. وهكذا تزخر مؤلفاتهم بعشرات المفاهيم والتعريفات لمصطلح الثقافة.

ولعل أقدم تعريف للثقافة، وأكثر ذيوعاً حتى الآن لقيمته التاريخية، تعريف إدوارد تايلور، الذي يذهب فيه إلى أنَّ الثقافة هي كل مركب يشتمل على المعارف والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والعرف، وغير ذلك من الإمكانيات أو العادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في مجتمع.

ومع ذلك يبقى سؤال مهم حول حاجتنا إلى فهم أفضل لكلمة الثقافة ومصطلح المثقف؟

إنَّ المجتمع لا يقوم ولا يبقى إلا بالثقافة. وإنَّ الثقافة طريق متميز لحياة الجماعة، ونمط متكامل لحياة أفرادها.

البحـــث العلمـــي

يُعدُّ البحث العلمي ركيزة أساسية من ركائز المعرفة الإنسانية في ميادين الحياة كافة.

بل أضحى أحد مقاييس الرقي والحضارة في العالم، فمن خلال البحث العلمي يستطيع الإنسان اكتشاف المجهول، وتسخيره لصالح المجتمع؛ بما يحقق التنمية والازدهار في مجالات الحياة كافة. فمن خلال البحث العلمي يمكن امتلاك التقنية والمعرفة، باعتبارها الأداة الفعالة لتحقيق الاستثمار الأمثل للموارد المتاحة من خلال تحقيق التنمية والتقدم.

ولئن كان البحث العلمي يشكل عنصراً مهماً وشرطاً ضرورياً لتقدم أي مجتمع، فإنَّ الحاجة له تبدو أكثر إلحاحاً في عالمنا الإسلامي، سيما مع التقدم الهائل للعلوم والتقنية الذي يشهده العالم المعاصر، مما يحتم على الدول الإسلامية مزيداً من الاهتمام بالبحث العلمي، وتطوير آلياته، في ظل الحاجات المتزايدة للتنمية في عصر المعلوماتية والاتصالات.

فعلى الرغم من أنَّ واقع البحث العلمي في البلدان الإسلامية لم يرق إلى المستوى المطلوب، وعلى الرغم مما يعانيه من مشكلات ذات أوجه متعددة ومصادر متنوعة، بَيْدَ أنَّ هناك جهوداً حثيثة تبذل في سبيل نشر الوعي المعرفي، وتطوير البحث العلمي، بما يحقق أهداف التنمية الشاملة. وليس أدل على ذلك من

تزايد عدد الجامعات العربية ومراكز الأبحاث والدراسات، وتضافر الجهود لتحقيق التعاون والتنسيق والتكامل بين الدول الإسلامية لتطوير البحث العلمي.

ويبقى الأمل معقوداً بشباب الأمة وباحثيها لتحقيق الدور الفاعل والمهم للبحث العلمي، في توفير الأسس العلمية، لتحقيق النهضة الشاملة في مجالاتها المختلفة، وربط البحث العلمي باحتياجات المجتمع، بما يحقق متطلبات التنمية الشاملة على أسس علمية مدروسة، قادرة على مواجهة تحديات الألفية الجديدة.

وهنا نتساءل عن واقع البحث العلمي وآفاقه المستقبلية، في خضم الكم الهائل من الإنجازات العلمية والتحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية التي يشهدها العالم في مواجهة التحديات ، ولمواكبة معطيات العولمة؟؟

المكتبات والمكتبيون

لقد ظلت المكتبة تقليدياً تُعرف بأنها مكان للكتب، ويُعرف المكتبي بأنه حارس تلك الكتب، وأسهمت في ذلك العلاقات بين المكتبيين وبين الكتب. أما الآن، وقد طور المجتمع وسائل أخرى لاختزان ونقل المعلومات والمعارف، فقد تدنت قدرتنا على إقناع المجتمع بما للمكتبي من أهمية، وربما تكون علاقاتنا بالكتب عرضة للمساءلة.

لذا يرى بعض المختصين أنَّ الاتجاه نحو التخلي عن الكتب وما يؤدي إليه من استخدام متزايد للوسائط الأخرى سوف يستمر، إننا سوف نكون مضطرين إلى أن نُقرِّر ما إذا كان دورنا سيظل مقتصراً على المحافظة على الكتب، فالوقت مناسب الآن كي يبحث المكتبيون عن الأدوار الاجتماعية التي ترفع من قدرهم.

ومن ثم، يمكن القول بأنَّ مدارس المكتبات تقود المهنة نحو بحار مجهولة، بينما المكتبات العامة والمكتبات المدرسية والمكتبات الأكاديمية تلهث من خلفها. وربما قام التربويون في مدارس المكتبات بقيادة القطاعات الأخرى من المهنة خلال تلك الحقبة المهمة من التغيير الاجتماعي. إنَّ الحاجة إلى الوصول المنظم إلى المعلومات لا ينتظر لها إلا أن تزداد في عصر الإلكترونيات، فالمهنة التي بإمكانها

تنظيم ملايين الكتب، تقدم مهارات كثيرة يتطلبها تنظيم المعلومات، بغض النظر عن الشكل الذي تتخذه.

وإذا نظرنا إلى الكتاب باعتباره وسيلة إلى غاية، الوصول إلى المعلومات، فإنه يصبح من الممكن إذن، أن ننظر إلى الوسائل الأخرى باعتبارها وسائل لذات الغاية، ومن ثم ندخل هذه الوسائل ضمن تصميم المكتبة. ومن ثم عني كتاب المكتبة الإلكترونية بعرض المباديء الخاصة بمشاركة المكتبات والمكتبين في التقنية.

إنَّ الوعي بما لدينا من إمكانات كامنة لمواجهة المستقبل يمكن أن يسهم في توجيهها نحو تطوير استراتيجيات تتيح للمكتبات، لا أن تبقى فحسب، بل وأن تزدهر كذلك. لقد بدأت عملية التغيير في المكتبات، وها هو الوقت قد حان كي تقوم مهنة المكتبات وعلم المعلومات بتحمل واجبها بشكل منهجي.

وهكذا فإنَّ علينا أن نطور ونحدد دورنا قبل أن يقوم غيرنا بفرض رؤيتهم علينا؟

الجغرافيا والجغرافـي

بـالأمس القريـب، كـان المـدى الأرضـي هـو بالتحديـد، موضـوع أبحـاث الجغرافيا. أما اليوم فالجغرافيا تتلقى الاتهام من كل صوب، يأخذون عليها أنها بقيت قائمة أساساً على الوصف من غير أن تقدم تفسيراً علمياً، وأنها ليست مطمئنة. ألم تقم الجغرافيا العلمية نفسها على غزوات جانبية وبعثات، لا إلى الأراضي التي لا بشر فيها، بل إلى أراضي مجاورة، وآهلة بالناس. وبالفعل، فقد كرست على أنها جغرافية أبحاث، قريبة من مجالات الجيولوجيا والبدولوجيا والانثروبولوجيا. وثمة جغرافيون يقدمون مستندات جديدة للدعوى، بالقحط المعرفي الملاحظ عند الجغرافيين أو كما يقول آخرون: تخبطهم المعرفي.

ومن الحق، القول أنه بين الجغرافيي الخُلَّص يجري تجنب المناقشات التي من شأنها أن تزعزع الثقة بوحدة الجغرافيا. وقد ذهب بعضهم إلى حد القول بأنَّ الجغرافيا، بعد أن فقدت اعتبارها، ينبغي أن تمحى أمام علم واجب إنشاؤه: علم المدى. والحال أنَّ المعرفة العلمية للمدى قد عرفت أهمية استراتيجية كبرى. فالمدى. أكثر منه في أي وقت مضى، هو موضع تفاريق وتناقضات وخلافات ومنافسات: إنه موضع الرهان بين الأنظمة الكبرى الاقتصادية والسياسية، التي تتنازع السيطرة على الأرض.

إنَّ ما ينقص الجغرافيون هو ما يمكن أن نسميه – تجاوزاً – المعيار، أو بأكثر بساطة المبدأ والمنطلق. فرضية للعمل قادرة على أن تحقق تفاهماً عريضاً فيما بينهم. فلقد روى أندريه منييه ببراعة قصة الفكر الجغرافي. إنَّ على الجغرافيا أن تتثقف بالنظريات المتعلقة بتنظيم المجموعات الحية المركبة. بَيْدَ أنَّ البحث عن قوانين قطعية متماثلة تسود ظواهر مختلفة أمر لا اعتراض عليه. ولكن ثمة مخاطر ينبغي تحاشيها. أولها خطر التلخيص التبسيطي.

وهنا نتساءل عن ضرورة إقامة الجغرافيا على المعيار الذي تبنته العلوم الاجتماعية اليوم أم على رؤى مستقبلة مأمولة مبنية على التكامل المعرفي والتوزع المعلوماتي، شاملة كل المسارات ذات العلاقة.

بَيْدَ أننا نرى أنه آن الأوان لأن نهتم بالثقافة الجغرافية في منتدياتنا؟؟

الفصل الثاني: رؤى اجتماعية

شـــبح التقاعـد

الحياة مسرح كبير، كل واحد فيها يمارس أدواراً محددة يكمل بعضها بعضاً، ولكنها تختلف عن حياة المسرح التمثيلي في أنَّ فصولها لا يعلم نهايتها إلا الله عز وجل. فلماذا نحن البشر نحدد انتهاء حياة الإنسان؟ الإجابة هي أننا أصبحنا ننظر لهذا الإنسان كنظرتنا للآلات والأجهزة لها تاريخ يحدد عمرها ونهايتها، فبالتالي أصبحنا نقيس معظم سلوكياتنا على هذا الأساس. فوضع الإنسان لنفسه الكثير من النظم والقوانين التي اعتقد أنها تنظم حياته وتسيرها على الوجه الأمثل. إلا أنه خاب في بعضها ، وقد يكون نجح في بعض آخر.

التقاعد أحد هذه الأنظمة، حكم فيه على الإنسان بتاريخ تنتهي فيه صلاحيته ، فيستبدل بقطعة أخرى جديدة، تتواكب مع إيقاع الحياة الجديدة، وهكذا يأتي من يأتي، ويرحل من يرحل.

وماذا بعد؟ أصبح هذا المدعو (التقاعد) شبحاً يخيف الكثيرين، وصار عاراً قد يجعل بعض الناس ينتهي بالفعل، ومن ثم أصبح الإنسان هو الحكم والقاضي والضحية.. إنَّ مفهوم التقاعد من المفاهيم الحديثة، التي أخذت بها جميع الدول،

فقد ظهر نتيجة التحول للمجتمع الصناعي. وعلى الرغم من عدم اتفاق العلماء المختصين على مفهوم واحد للتقاعد، إلا أنهم اتفقوا على عدة جوانب ترتبط بالتقاعد، ومنها أنَّ التقاعد يرتبط بالوظيفة أكثر من ارتباطه بالعمل. فالمتقاعد يترك الوظيفة عندما يبلغ سناً معيناً، وليس شرطاً أن يكون غير قادر على العمل.

لذا، تشير الإحصاءات إلى أنَّ عدد الأشخاص الذين بلغوا 60 سنة فأكثر على مستوى العالم عام 2000م حوالي 590 مليون شخص، ويحتمل أن يتزايد هذا العدد ليصل إلى حوالي 976مليون شخص عام 2020م. وتشير معظم الدراسات إلى أنَّ رعاية المتقاعدين في الدول العربية تقتصر على توفير معاش شهري للمتقاعدين بنظام التقاعد أو التأمين وإيجاد مؤسسات إيوائية.

من هنا فإني أرى أهمية رصد آثار التقاعد، مع الإجابة على كثير من التساؤلات التي تؤرق وتزعج المتقاعدين، من أجل تقديم رسالة واضحة للمتقاعدين، نقول لهم فيها إنَّ في العمر بقية، والحمد لله، ينبغي اغتنامه في الصالح النافع.

التحضر والتمـدن

في الخمسينات، كان عدد سكان المدن في البلدان المتقدمة يزيد عن 155 مليون نسمة عن عدد سكان المدن في البلدان النامية.

وفي السبعينات أصبح الفارق 30 مليوناً فقط. ومنذ ذلك التاريخ شهدت البلدان النامية موجة هجرة لم يسبق لها مثيل من المناطق الريفية إلى المدن. ونتيجة لذلك تضاعف عدد سكان المدن خمسة أو حتى ستة أضعاف.

وبنهاية القرن الماضي، عاش حوالي نصف سكان العالم في بيئة حضرية، وارتفع عدد سكان المدن في العالم النامي ليصل إلى 1,9 مليار نسمة، أي ضعف مجموع سكان المدن في البلدان المتقدمة. وفي الوقت نفسه، فإن سكان الريف الذين اقترب عددهم في ذلك الوقت من 3 مليار نسمة استمروا في هجرتهم المتصلة والمتواصلة إلى المدن الكبرى.

لقد اهتم العلماء الاقتصاديون والاجتماعيون منذ زمن طويل بمسألة ما إذا كان هناك حجم (أمثل) للمدن.

حيث يرى بعض الخبراء أنَّ الحد الأقصى الأمثل خاصة فيما يتعلق بالوظائف هو حوالي 500 ألف ساكن، وعندما يصل العدد إلى 2 مليون ساكن،

يكون قد وصل إلى النقطة الحرجة التي يصبح بعدها المحافظة على مستوى المعيشة العام أكثر صعوبة.

بَيْدَ أنَّ هذه التقديرات متوسطة فقط، ومن الواضح أنَّ من غير الممكن تحديد حجم أمثل يمكن تطبيقه على كل المدن في كل البلاد. ويكون من الأفضل تحديد هدف، هو تحقيق معدلات معقولة للتمدين، مع نمو متوسط وتنمية محدودة للمدن الكبيرة العملاقة.

إنَّ أزمة التمدين وما تجره وراءها من مشكلات اجتماعية وتقنية واقتصادية، تعوق التقدم الاقتصادي في بلدان العالم الثالث.

وباختصار، فإنَّ التنمية الريفية يجب أن تكون جزءاً من التنمية الوطنية بمزيد من التعاون الوثيق بين المجتمعات المحلية والسلطات العامة على أعلى مستوى.

ومن ثم، فينبغي بذل جهود كبيرة لتقليل التركيز الزائد في البنية الأساسية والأنشطة والخدمات الاقتصادية في المدن والعواصم، وإيجاد صناعات ومناطق متوسطة النشاط لامتصاص قوة العمل في الريف.

ولابد من التعليم والتدريب بالنسبة لسكان الريف، إذا كنا نريد التقليل من البطالة وتباين مستويات الدخل، فهما من أهم أسباب مغادرة الريف وزيادة السكان في المدن.

أمـراض الـمجتمــع

يتعرض جسم الإنسان من وقت لآخر لأمراض نسميها أمراضاً جسدية، كوجع الرأس، أو وجع المعدة، وألم المفاصل. كذلك المجتمع يصاب بأمراض يطلق عليها الأمراض الاجتماعية، كظاهرة الإجرام، والانحرافات السلوكية، والإدمان.. وهي الأخطر. فإذا كانت الأمراض الجسدية تصيب الإنسان كفرد، ويأخذ ضررها الطابع الفردي، فإنَّ الأمراض الاجتماعية تطال الإنسانية في المجتمع، وتشكل بالنسبة لهذا المجتمع بؤرة فساد تكون باتساعها وانتشار عدواها وتأثيرها السلبي أشبه باتساع الدوائر المائية على صفحة ماء راكدة، تعرضت لرمي حصاة صغيرة.

إنَّ المشكلة تبدأ فردية صغيرة لتصبح، مع عدم المواجهة، قضية اجتماعية تنهك المجتمع وتقوض مضاجع أبنائه. ويتعاظم الخطر بقدر ما يتم التغاضي عن بروز المشكلة أو بقدر ما يتم التعامل معها بغير اهتمام. ثم إنَّ المجتمع يتعرض عموماً إلى نوعين من المشكلات: أولاها، مشكلات طبيعية، لا يكون للفرد فيها أي دور كالمشكلات الناتجة عن الزلازل والفيضانات والعوامل الطبيعية الأخرى، وهي مشكلات لا يمكن التحكم بأسبابها والسيطرة عليها. وثانيها، مشكلات

يتسبب بظهورها الفرد كمشكلات الإدمان، والعنف، والإجرام، والطفولة المعذبة. وهذه بمقدور المجتمع التحكم بأسبابها ومحاصرتها.

ولقد اهتم علماء النفس والاجتماع بهذه المشكلات والأمراض وبحثوها من زاوية الخروج على قيم المجتمع ومعاييره، أو بمدى الالتزام بها والتوافق معها، وكشفوا أسبابها الاجتماعية، كما عددوا أهم هذه الأمراض، وعرضوا لكيفية الوقاية منها وسبل علاجها، وبينوا أنَّ من هذه الأمراض ما يتصل بالفرد والمجتمع والأسرة والحي، وأبرزوا أهم أشكالها – كما أسلفنا – وهي : الجريمة والعنف والإدمان.

وعموماً فإنَّ أولئك الأشخاص الذين توصد في وجوههم أبواب الكسب الشريف يكونون أمام خيارين : إما اتباع وسائل غير مشروعة لتحقيق أهدافهم في المجتمع، أو الانسحاب من الحياة الاجتماعية العامة، والهروب من متطلبات الواقع، بتعاطي المخدر أو إدمان الكحول أو بلعب الميسر، وكل خيار يعتبر سلوكاً منحرفاً ومرضاً اجتماعياً يتسبب في مشكلات عديدة على الجميع.

التفـــكـك الأســـري

اللافت للنظر حقاً أننا عندما ننظر في التفكك الأسري وأسبابه، تحكم رؤيتنا خارطة مسبقة لا تزال تتكرر وتذكر من عقود طويلة، دون أن تسهم في وضع حد أو علاج للمشكلة ودون أن تدعونا لإعادة النظر، مع أنَّ التفكك يزداد اتساعاً، ورسالة الأسرة ودورها يزداد انكماشاً، والإقدام على بناء الأسرة بدأ يتضاءل.

فهل المشكلة حقاً في غياب الأب أم في أهلية الأب وإدراكه لمهامه؟ إذ قد يعيش الأب في غيبوبة أسرية وهو حاضر يعيش بين أفراد الأسرة. أم هل المشكلة في غياب الأم لساعات طويلة عن البيت، أو عمل الأم، وعدم تفرغها للتربية؟ وهل وجود المرأة غير المؤهلة للتربية يحول دون التفكك الأسري؟ وهل الطلاق الذي شرع حلاً وعلاجاً، يتحول عند التعسف في استعماله ليصبح مشكلة وسبباً في التفكك؟

الحقيقة، أنَّ الموضوع عميق وخطير، ولا ينفع معه التبسيط والاقتصار على ذكر الأسباب التقليدية دون سبر غور المشكلة والتعرف على جميع وجوهها، مع الأخذ بعين الاعتبار أنَّ أسباب التفكك الأسري ليست ثابتة ولا جامدة، وإنما متحركة في أثرها وتأثيرها حسب الظروف والتطورات، لذلك لابد لها من عين فاحصة تلمح أبعادها، وتدرك دور الأسباب الجديدة والمتجددة.

إنَّ التقنيات الحديثة من فضائيات وحاسوب وانترنت، أوجدت لكل فرد في الأسرة جوه الخاص، والمناخ البديل عن مناخ الأسرة، والأسرة بدأت تتحول شيئاً فشيئاً إلى مجمع سكني أو مبنى فندقي أو مطعم متعدد الوجبات والزبائن، إضافة إلى التقاليد والعادات والمسلسلات التي تحمل معها نماذج رديئة للعلاقات الزوجية والتربية الوالدية والتنشئة الأسرية.

لذلك، فإنَّ ملف التفكك الأسري ملف كبير يتطلب مجموعة تخصصات ومجموعة جهود، فقد أصبح لا مندوحة من التعامل معه من خلال وضعه ضمن السياق الثقافي والتربوي، انطلاقاً من القيم الإسلامية وامتلاك القدرة على توليد رؤى لكيفية العمل والتعامل، ذلك أنَّ إغلاق الأبواب والنوافذ لم يعد بمقدورنا؟

الهندسة النفسية

ليس أشق على الإنسان من مجاهدة النفس وتغيير مرذول طباعها، وتحليتها بمكارم الأخلاق ومحاسن العادات وفضائل السلوك. فكل سلوك شخصي أو نمط خلقي وراءه خصيصة نفسية منظمة له ودافعة إليه، وحتى يستطيع الإنسان أن يتحكم في سلوكياته ويرتقي بأخلاقه ويضبط تصرفاته، فلابد أن يلتفت قبل ذلك إلى الدوافع والخصائص النفسية.

فلا شك أنَّ للإنسان طاقات محدودة لا يستطيع أن يبذل أكثر منها ولا أن يتحمل فوق قدرته، ولكن بعض الناس تحت إغراء كثرة الفرص المتاحة أو علو الهمة وزيادة الحيوية والنشاط، يندفع للعمل فيحمل نفسه فوق طاقتها، مما يؤدي إلى القلق والاضطراب وعدم الإنتاج ويصبح كالمنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى.

ثم إنَّ من أهم أسباب النجاح في الحياة إجادة صنع القرارات واتخاذها في الوقت المناسب في أي جانب من جوانب الحياة المختلفة، سواء في التعامل مع النفس أو التعامل مع الآخرين. فكثير من الناس يعملون ويجتهدون، ثم في لحظة حاسمة من مراحل عملهم يحتاجون لقرار صائب حاسم، لكنهم بترددهم وعدم إقدامهم، ربما ضيعوا الفرص تلو الفرص.

لذا، يمكن القول أنَّ هناك عدداً من الخطوات الضرورية لصناعة القرار وبرمجة النفس وهندسة الذات، منها: جمع المعلومات الكاملة والصحيحة عن

الموضوع المراد، ثم تحديد الخيارات الممكنة والمتاحة، مع ترجيح الأفضل من تلك الخيارات المختلفة، وتنويع البرامج وتنفيذها خطوة خطوة، واكتشاف الذات والتعامل بواقعية، مع الاستفادة من النقد في تصويب العمل وإصلاح النفس، ثم الاتصال مع الآخرين والتواصل مع المعرفة، وتعويد النفس اكتساب المهارات الإثرائية.

ومن ثَمَّ، فإنَّ أول طريق النجاح في الحياة هو نجاح المرء في إدارة ذاته والتعامل مع نفسه بفاعلية، وإنَّ الفشل مع النفس يؤدي غالباً إلى الفشل في الحياة. فكم من جوهرة تخطف الأبصار بأصفى الأشعة وأبهاها مستكنة في أغوار المحيطات المظلمة.

عالم إسـلامي بلا فقـر

عند النظر بإمعان إلى الخصائص الاقتصادية في الأقطار الإسلامية يتضح لنا أنَّ العالم الإسلامي يعتبر متخلفاً اقتصادياً، وأنَّ الإنجازات التنموية التي حققها جاءت متواضعة ودون المستوى المطلوب، ويكشف عن ذلك القراءة الموضوعية للواقع الاقتصادي الإسلامي بأبعاده المختلفة. حيث يشكل الفقر وانخفاض نصيب الفرد من الناتج الإجمالي الوطني سمة بارزة في معظم الأقطار الإسلامية. فمشكلة الفقر تمثل مشكلة مؤسفة ومحرجة تنتشر وتتزايد في كثير من الأقطار الإسلامية وبطريقة مخيفة ومضطردة. فعلى سبيل المثال يقدر برنامج الأمم المتحدة الإنمائي عدد الفقراء في الدول العربية بما بين 90 – 100 مليون نسمة.

وغير خاف أنَّ ظاهرة الفقر في البلدان النامية ليست ظاهرة طارئة أو عارضة، بل إنها ظاهرة هيكلية، بمعنى أنَّ للفقر جذوراً تسكن في قلب الهياكل الاقتصادية والاجتماعية لهذه البلدان. ويمكن القول بناء على ذلك، بأنَّ الفقر في العالم الثالث في الوقت الحالي، محصلة التفاعل بين خللين: الأول: خلل موروث في الهياكل الاقتصادية، نسميه (التخلف). والثاني: خلل مستحدث في استراتيجيات وسياسات التنمية، وهو ما يتجلى في عملية إعادة تشكيل الاقتصاد والمجتمع على النمط الرأسمالي.

ورغم انتشار الفقر في معظم أنحاء العالم الإسلامي، إلا أنَّ انتشاره أصبح أمراً مقلقاً في بعض الأقطار. ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أنَّ أعباء الفقر تقع بصفة خاصة على النساء، وخصوصاً إذا علمنا تزايد الأسر التي ترأسها المرأة والأطفال. ورغم أنَّ الأدبيات المتوافرة تجعل النمو السكاني سبباً لظاهرة الفقر والتخلف، بَيْدَ أنَّ الدراسات العديدة حول هذا الموضوع لم تستطع أنَّ تقدم دليلاً مقنعاً على أن النمو السكاني سبب الفقر، وإنما أكدت على تشابك العلاقات. وذكرت أنَّ من الأسباب الرئيسة المسؤولة عن انتشار الفقر والحرمان في الدول الإسلامية: إهمال العنصر البشري، وسوء توزيع فرص العمل، وانتشار البطالة، وإهمال الزراعة والصناعات الصغيرة، وانخفاض مستوى الإنتاجية. ومع ذلك يبقى التساؤل الأبرز: هل يمكن أن نحصل على عالم إسلامي بلا فقر؟

تنميـــة البشـــر

لقد كانت النظريات الاقتصادية التقليدية تعتبر الكائن البشري بـ تـور الله في برسيمه كما يقول إخواننا في مصر وكانت تتجاهل العبارة المشهورة (ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان)، بَيْدَ أنَّ الفكر الاقتصادي في هذا الشأن قد تغير، وأصبح من الواضح أنَّ العنصر البشري يحتل المكانة الأولى بين عناصر التنمية الاقتصادية الاجتماعية. والنظريات الحديثة للنمو والتنمية تولي أهمية كبرى للبحث والتطوير وتراكم المعرفة. كما أن النظريات الحديثة للتجارة الدولية تؤكد أهمية المهارات البشرية باعتبار أنها تمنح مزايا نسبية مكتسبة.

فالكائنات البشرية تمثل اللاعبين الأساسيين، فإذا لم يتم إصلاح هذه الكائنات، فلا يمكن لشيء أن يؤدي عمله، سواء كان ذلك هو اليد الخفية أو اليد المرئية. ولقد كان لتقارير برنامج الأمم المتحدة الإنمائي بقيادة محبوب الحق وزملائه الخبراء، أثر بارز في التنبيه إلى أهمية التنمية البشرية منذ ظهور التقرير الأول للتنمية البشرية عام 1990م، إذ تعرف هذه التقارير التنمية البشرية بأنها عملية تهدف إلى زيادة الخيارات المتاحة أمام الناس. وتركز تلك الخيارات الأساسية في أن يحيا الناس حياة طويلة وخالية من العلل، وأن يكتسبوا المعرفة، وأن يحصلوا على الموارد اللازمة لتحقيق مستوى حياة كريمة.

ومن ثم فإنَّ للتنمية البشرية جانبين رئيسين، هما: الأول: تشكيل القدرات البشرية مثل تحسين الصحة والمعرفة والمهارات، والثاني: انتفاع الناس بقدراتهم

المكتسبة في المجالات الشخصية. وغير خاف أنَّ مفهوم التنمية البشرية يختلف عن مفهوم تنمية رأس المال البشري أو تنمية الموارد البشرية، إذ إنَّ الأخير يتعامل مع الكائنات البشرية باعتبارهم وسيلة وليس غاية في الأساس. بينما التنمية البشرية توجّه إنساني للتنمية الشاملة. لذا، يمكن القول بأنَّ الفرق الجوهري بين الدول المتقدمة اقتصادياً والدول النامية هو ارتفاع التنمية البشرية في الأولى بالمقارنة بالثانية.

من هنا نرى أنه آن الأوان لأن نهتم بتنمية البشر في بلادنا؟؟

الجامعات والتوظيف

إنَّ المملكة العربية السعودية أمة فتية من عدة جوانب، فدولتنا دولة ناشئة حديثة، وهي كذلك دولة نامية طموحة، كما أنَّ الأغلبية العظمى من مواطني البلاد هم من الشباب. وصغر سن أفراد المجتمع السعودي يُعدُّ من المنظور الاقتصادي نقمة ونعمة في الوقت ذاته. فهو نقمة لأن هذه الشريحة الكبيرة من السكان العزيزة على قلوبنا فئة معالة غير منتجة تكلف المجتمع مبالغ طائلة لرعايتها وتنميتها، من خلال ما تنفقه الدولة على الخدمات الضرورية الصحية والتعليمية، وخلافه، وهو نعمة لأن الموارد البشرية هي أغلى رأس مال للأمة، وشبابها هم رجالها غداً، والأمل معقود عليهم – بعد الله تعالى – في مواصلة مسيرة التنمية والتطوير لوطننا الغالي.

بعد هذا أقول، إنَّ معالجة المشكلات التي تواجه الشباب في مجال الالتحاق بمؤسسات التعليم العالي ليس نهاية المطاف. فمع أنَّ التعليم غاية ويطلب لذاته، بَيْدَ أنه أيضاً وسيلة لإعداد الشباب للعمل المنتج وتأهيلهم لسوق العمل. فالحفاظ على فرص العمل المتاحة وإيجاد فرص عمل جديدة للاستفادة من الموارد البشرية والحد من البطالة، يأتي على رأس قائمة أولويات الدول. بَيْدَ أنَّ ذلك أمر لا يتحقق من تلقاء ذاته. وإنما يحتاج إلى رؤية واضحة واقعية، وتخطيط استراتيجي متميز، وسياسات إيجابية تنصب كلها في ذلك الاتجاه.

وغير خاف أنَّ أيّ دولة، مهما كان حجم مواردها المالية، لا تستطيع توظيف جميع مواطنيها الراغبين في العمل والقادرين عليه في أجهزتها ومؤسساتها. ثم إنَّ التعليم مهما كان متقدماً لا يغني عن التدريب. فالتعليم والتدريب معاً عملية دائمة ومستمرة، ينبغي ألا تتوقف أبداً مادام المجتمع يبتغي تحقيق التنمية الشاملة. نحن في حاجة، إذن إلى نهضة تدريبية شاملة لا تقل عن النهضة التعليمية.

ويبقى أن نسأل: هل مستقبل شبابنا وطلابنا وأبنائنا في الجامعات أم في التوظيف أم فيهما معاً؟ بَيْدَ أني أؤكد أنَّ اهتمامنا المستقبلي ينبغي أن ينصب على التدريب وإتقان مهاراته، وزيادة فرص العمل لأبنائنا.

الفصل الثالث : رؤى اقتصادية

فطـرة الاسـتهـلاك

الاستهلاك تناول إنساني مباشر للطيبات والأرزاق، إشباعاً لحاجات إنسانية حقيقية. ومن ثم فالاستهلاك سلوك إنساني مكتسب بالفطرة، أما الإنتاج فهو محصلة عمل وخبرة ومهارة وإبداع، كما أنَّ الاستهلاك نشاط يقوم به الجميع، بينما لا يقوم بالإنتاج إلا مجموعة محددة من الأفراد. ووفقاً لمنطق الاقتصاد يتخذ المستهلك قراره بشراء كمية معينة من سلعة معينة وفقاً لما يُعرف بدالة الطلب على السلعة.

ومن جهة أخرى، يفترض علم الاقتصاد أنَّ المستهلك يعرف حاجاته ورغباته وخصائص السلع وبدائلها وقدرتها على الإشباع وترتيبها بين السلع الأخرى حسب أهميتها له، وكيفية توزيع دخله ليحقق له أقصى منفعة.

وواقع الحال، فإنَّ ما تعاني منه المجتمعات المعاصرة من قصور في توفير المعلومات الصحيحة عن السوق وتأثير وسائل الدعاية والإعلان المضلل لقرار المستهلك، وعدم ترتيب المستهلك لأولويات حاجاته ورغباته وتوزيع دخله ليلاءم هذه الأولويات. كل ذلك أدى إلى غياب المستهلك الرشيد، وانحراف السلوك الاستهلاكي في المجتمع، وتبع ذلك انحراف في السلوك الإنتاجي في السوق، وتخريب للاقتصاد.

إنَّ المشكلة التي استمرت مصادر البحث في تتبع نتائجها ومواكبة تطورها والبقاء على صلة مستمرة بها هي تقرير هوية المستهلك، ومقدار استعداده في الحصول على السلع والخدمات، لإشباع حاجته الملحة منها.

وهذا المعنى الاجتماعي والاقتصادي لعملية التطوير للحياة البشرية أبرز مفهوماً جديداً يُعبر عن تصرفات الفرد المستهلك في الاقتصاد أطلق عليه (الاقتصاد الاستهلاكي).

وفي حين لا نجد كتاباً اقتصادياً حديثاً أو كتابات اقتصادية معاصرة تخرج عن قضايا الإنتاج والاستثمار وتوزيع الثروات والتضخم والبطالة والانكماش، إلا أنه بالمقابل يندر تناول تنظيم الاستهلاك أو تربية الاستهلاك في المناهج الاقتصادية الحديثة.

إنَّ على علماء الاقتصاد خاصة، والعلماء والمفكرين عامة:

1- أن يهتموا بالسلوكيات الاستهلاكية في المجتمع.
2- دعوة أفراد المجتمع إلى ترشيد وتنظيم عملياتهم الاستهلاكية.
3- تبني مادة (التربية الاستهلاكية) مقرراً دراسياً ضمن مراحل التعليم المختلفة.
4- حث وسائل الإعلام على تقديم القدوات الاستهلاكية الرشيدة واعتماد الدعاية والإعلان الموافقة للواقع والحقيقة.

لقد قيل: إنَّ عصرنا هذا هو عصر الاستهلاك وأنَّ مجتمعنا هو مجتمع استهلاكي، ولا عجب، إذ إنَّ الاستهلاك اليوم هو محور الاقتصاد. ومن ثم فهل آن الأوان للاهتمام بالتربية الاستهلاكية في بيوتنا ومتاجرنا وأعمالنا وسلوكياتنا وحياتنا؟؟

اقتصـــاد البيـئـــة

(اقتصاد البيئة) اصطلاح يعني (استخدام أدوات التحليل الاقتصادي في البحث عن التكاليف التي يتحملها المجتمع نتيجة للأضرار الناجمة عن الإخلال بالتوازن البيئي)، وبمعنى آخر يعني هذا الاصطلاح (دراسة العائد الذي يحصل عليه المجتمع نتيجة للوقاية من أسباب الإخلال بالتوازن البيئي).

والواقع أنَّ تحديد تاريخ قاطع لبدء الاهتمام باقتصاديات البيئة أمر ليس سهلاً، ولكن بالاستقراء والتتبع يمكن إرجاع هذا الاهتمام إلى أواخر الستينات وأوائل السبعينات من القرن الماضي.

لقد أصبحت اقتصاديات البيئة اقتصاديات المجتمع الإنساني في صورته الكبرى وإذا كانت الجوانب الاقتصادية لمشكلات البيئة مهمة في الدول المتقدمة، فإنها أكثر أهمية في الدول النامية.

إنَّ أيّ مدخل لدراسة الجوانب الاقتصادية لمشكلات البيئة لابد أن يبحث في تقويم التكاليف واجبة التحمل تجاه هذه المشكلات من ناحية، وكذلك تقويم العوائد من علاجها، من ناحية أخرى، ولذا، كان طبعياً أن تُدرس الجوانب الاقتصادية لهذه المشكلات من خلال (اقتصاديات البيئة).

لقد استطاع ميدان اقتصاديات البيئة – مع إنه حديث نسبياً – أن يطوّع مباديء اقتصادية، ويوسّع نطاقها، خدمة لصانعي القرارات على مختلف المستويات في المجتمع الحديث متدرجاً من الأصعدة المحلية إلى العالمية.

لذا، تقوم اقتصاديات البيئة عن طريق تطويع مثل هذه الأساليب المعيارية وتوسيع نطاقها، لا سيما من أجل تحديد الخيارات المتعلقة بالاستخدام الكفء للموارد الطبيعية وإدارة التلوث، بدور رئيس في الوصل بين المناهج الاقتصادية والبيئية والاجتماعية المؤدية إلى التنمية المستديمة.

لقد كانت الحكومات وحتى عهد قريب تولي اهتماماً ضئيلاً للنتائج البيئية المحتملة عندما تتخذ القرارات بشأن التدابير الاقتصادية.

إلا أنه في الوقت الحاضر، حيث أخذت الاهتمامات البيئية تكتسب أولوية أعلى، بدأت الحكومات في مختلف أرجاء العالم تعيد التفكير في استراتيجياتها الاقتصادية.

ففي البلدان النامية، حيث تحتل التنمية الاقتصادية والتخفيف من شدة الفقر محور الاهتمام، يعتبر التلوث وتدهور الموارد الطبيعية بمثابة معوقات خطيرة.

وفي البلدان الصناعية، حيث تقاس نوعية الحياة هناك أساساً من حيث النمو في المخرجات المادية الصافية، يجري الاعتراف حالياً بأنَّ التلوث على وجه الخصوص يشكل تهديداً خطيراً.

ومن ثم، فهل آن الأوان لئن يتشكل علم خاص يُعنى بالبيئة ومشكلاتها وقضاياها؟!

الجـــوع والغـــذاء

إنَّ أحد أكثر المشكلات الجوهرية التي تجابهها العديد من الأمم النامية الأقل تطوراً هي كيفية إنهاء مشكلة الجوع على أراضيها. والفقر الواسع الانتشار في الريف والمدينة يعني بأنَّ أناساً كثيرين لا يستطيعون شراء الغذاء الموجود في الأسواق.

فإن قيل: ما هي كمية الغذاء الموجودة في العالم في الوقت الحاضر؟ وهل يوجد الكفاية لكل شخص؟ فإنَّ الجواب الذي قد يفاجيء الجميع هو: نعم، يوجد الكفاية. هناك ما يكفي من الحنطة في العالم لكل رجل وامراة وطفل بمعدل (3000 سُعر حراري) في اليوم، وهذا الرقم يعتبر أقل بقليل مما يستهلك من الشخص العادي في الدول الصناعية.

إنَّ كميات الغذاء التي لم يسبق لها مثيل في العالم، والأرقام المحسّنة لمستوى الفرد الواحد، لا تعني بالضرورة أنَّ كل شخص قد حصل على غذاءٍ كافٍ.

فلا أحد يعلم بالتأكيد مدى انتشار الجوع في هذه الأيام حيث تتراوح التقديرات ما بين 450 مليون جائع إلى بليون. فإن قيل: مَنْ هم الجياع، وأين يعيشون؟! فإن الجواب حسب تقديرات البنك الدولي، هو أن 80٪ هم من النساء والأطفال.

ويعتبر سوء التغذية قاسماً مشتركاً بين الفقراء في العديد من الدول النامية، ويعيش معظم هؤلاء الناس في قرى صغيرة ويتناول الرجال طعاماً أفضل من غيرهم من أفراد الأسرة، لأنهم يحصلون على الغذاء بأنفسهم.

إنَّ إنتاج الغذاء في أيامنا هذه يكفي سكان العالم جميعاً، ولكن ومع كل ذلك، فهناك ما يقارب رُبع سكان العالم يعانون من سوء التغذية. إذن، ما الذي يسبِّب الجوع في العالم؟ إنَّ هيئات ومنظمات الغذاء في العالم تتفق بشكل عام على أنَّ الفقر من الأسباب الرئيسة للجوع في العالم.

فالملايين من الناس ليس لديها النقود الكافية لشراء حاجتها من الطعام، أو أنواع جيدة من الطعام، وهذا هو السبب الذي جعل – جون تارنت – أحد خبراء الغذاء يكتب قائلاً: يستمر سوء التغذية والمجاعة في وضعهما الثابت دونما تغيير في حالتي الوفرة والشح للغذاء في العالم.

إنَّ المشكلة، إذن ليست مشكلة تقنية فنية في زيادة إنتاج الغذاء، ولكن التطور الاجتماعي والاقتصادي في الدول النامية، هو بتوفيق الله، الذي سيمكن السكان من شراء الغذاء، ومن ثمّ، مواجهة ظاهرة الجوع، ومعالجة آثارها المختلفة.

الماء العذب

الماء العذب مورد حيوي لا غنى عنه، بَيْدَ أنَّ هذا الماء الذي هو مصدر للحياة كلها يختلف عن الموارد الأخرى، من حيث إنه لا بديل له، إذ إنَّ النشاطات اليومية كالشرب والاغتسال وري المحاصيل تعتمد جميعها على موارد المياه، بَيْدَ أنه نتيجة للضغط السكاني فإنَّ نصيب الفرد من الماء العذب أخذ في التناقص المستمر، بل حتى إنَّ البلدان التي اعتادت وجود وفرة من الماء فيها، تعاني حالياً أو ستعاني من عجز لا يُعرف مداه. فإلى أيّ مدى سنمضي، وما الثمن الذي سندفعه جراء هذا الاستهلاك المتزايد للمياه.

لقد زاد استهلاك المياه على المستوى العالمي عشرة أضعاف، منذ بداية هذا القرن، وتُعزى هذه الزيادة المتفجرة إلى اتجاهين مترابطين: تضاعف عدد سكان العالم نحو أربع مرات، من 1,6 بليون عام 1900م إلى 6,2 بليون عام 2005م، وازدياد استهلاك الفرد من المياه من جميع الأغراض 400م^3. بينما تضاعف هذا الرقم عام 1990م. وفي البلدان النامية بلغ معدل الاستهلاك الشخصي السنوي بالنسبة لاحتياجات الزراعة والصناعة والاستعمال المنزلي نحو 1200م^3 من الماء العذب.

إنَّ الارتباط ما بين مستوى المعيشة واستهلاك المياه ارتباط وثيق للغاية، فعند مقارنة مستويات التنمية قد يتفاوت الطلب على المياه تفاوتاً كبيراً.

ويعتمد أيّ انخفاض في الاستهلاك المنزلي أساساً على سلوكيات المستهلك. لذا فمن واجب البلديات تقديم المعلومات التي تجعل الناس على وعي بمسؤولياتهم.

إنَّ وسيلة علاج ندرة الماء لا تتأتى من خلال التخفيض الحاد في نمو السكان، أو من خلال التخفيض الحاد في الاستهلاك، ولكنها تتأتى من خلال توحيد للإجراءين، السكان والاستهلاك، يتسم بالحكمة والترشيد.

والمضي بلا تخطيط، كما هو حادث على نحو واسع في الوقت الراهن، سيكون أمراً غير سليم، نظراً للتهديدات الوشيكة لندرة المياه، وتوقي السلامة خير من الوقوع في الندم. إنَّ علينا أن نطبّق المبدأ الوقائي.

إنَّ المستقبل يمكن في تطوير استخدام ماء قليل الملوحة وتكرير ماء النفايات، وملاحقة للثورة الخضراء. ومن ثَمَّ، فإنَّ الوقت قد حان للثورة الزرقاء.

حقائق اقتصادية

إنَّ هناك حقائق غاية في الأهمية ينبغي الإشارة إليها، على النحو التالي:

أولاً: حجم ونسبة استثمارات القطاع الخاص العربي المباشر في الدول العربية ارتفعت بنسبة 40٪، حسب تقارير المؤسسة العربية لضمان الاستثمار.

ثانياً: حجم الاستثمارات السعودية في مصر بلغت حوالي 5 مليار جنيه، تمثل 40٪ من الاستثمارات العربية، مما جعل السعودية المستثمر والشريك التجاري العربي الأول لمصر.

ثالثاً: حجم مساهمة القطاع السياحي تقدّر بحوالي 10٪ من الإنتاج الكلي لمنطقة الشرق الأوسط، كما أنَّ 10٪ من مجموع القوى العاملة في منطقة الشرق الأوسط تقريباً يعملون في هذا القطاع.

رابعاً: حجم الاحتياطيات النفطية خارج منطقة الخليج في تدن مستمر، وخصوصاً في أكبر دول إنتاج النفط.

خامساً: دول مجلس التعاون الخليجي تُعدُّ مجالاً خصباً للاستثمارات الصناعية، حسب دراسات منظمة الخليج للاستشارات الصناعية.

سادساً: العالم الإسلامي يحتل المرتبة الأولى في إنتاج القطن بنسبة 30٪ من الإنتاج العالمي، وفي إنتاج المطاط يستأثر العالم الإسلامي بنحو 75٪، كما يحتل المرتبة الثانية في إنتاج البن بنسبة 10٪، والمرتبة الثالثة في إنتاج الأرز بنسبة 15٪.

سابعاً: البلاد العربية تنفق حالياً أكثر من 200 ألف مليون دولار سنوياً على استيراد الغذاء.

ثامناً: حجم الثروات الشخصية في الشرق الأوسط يصل إلى تريليون ومائة ألف بليون دولار أي ما يمثل 7٪ من الثروات الشخصية على المستوى العالمي.

تاسعاً: الأموال العربية الموضوعة في بنوك أوروبية بلغت حوالي 620مليار دولار في عام واحد.

عاشراً: نسبة الكفاءات المهاجرة من العالم الثالث إلى مجموع العقول المهاجرة إلى أمريكا تصل من 70 – 80٪ ، حسب تقدير مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية ، وهذه الهجرة تكلّف الدول النامية حوالي 42 مليار دولار.

إنَّ قراءة فاحصة وناقدة لهذه الحقائق الاقتصادية تبيّن أنَّ المردود الاقتصادي من الاستثمار داخل الوطن يحظى بمزايا وإمكانات وتسهيلات كبيرة ، تمكن من توطين الأموال العربية وجذب رؤوس الأموال الأجنبية.

العولمة الاقتصادية

إنَّ الظاهرة المعروفة بعولمة الاقتصاد، التي كان هناك ميلٌ لتجاهلها أثناء سنوات النمو المرتفع، وخلال النصف الثاني في الثمانينات، أصبحت الآن تحتل عناوين الصفحات الأولى.

بَيْدَ أنَّ ذلك ليس تطوراً حديثاً، فاستجابة لضرورات الحجم والتنافسية، قامت شركات من بلدان عديدة منذ فترة طويلة بترسيخ نفسها في مناطق العالم ذات النمو الاقتصادي القوي.

وقد ساعدت العولمة الاقتصادية استراتيجيات دول تلك المناطق على النمو الاقتصادي، وفتح أسواق جديدة، ورفع قيود سعر الصرف، وتحرير حركة رؤوس الأموال؛ مما أدى إلى زيادة التجارة في السلع المصنعة على حساب المنتجات الأولية الزراعية والتعدينية ومنتجات الطاقة، وارتفعت نسبة هذه السلع من التجارة الكلية من 50٪ في السبعينات إلى 70٪ في التسعينات.

إنَّ الاستثمارات في ظل العولمة الاقتصادية، كما تشير العديد من الدراسات والأبحاث والتقارير، يمكن أن توسع التجارة والأسواق، مما يشجع التنمية الاقتصادية المستدامة داخل الوطن، وهذه التنمية يمكن أن تسهم في تحسين الظروف المعيشية في البلدان النامية، ودعم برامج التنمية البشرية.

ثم إنَّ هناك الكثير ممن يعملون في صناعة أو أخرى، وفي ظل الاستثمارات المفتوحة، سوف يكون بمقدور الكثير منهم العمل في مجال السفريات والسمسرة

والعقارات وما إلى ذلك، ومع نجاح تلك الاستثمارات، سوف تكون هناك زيادة متوقعة في حجم العمالة الماهرة.

وعلى الرغم من ذلك، فإنَّ الصورة ليست ناصعة على الإطلاق، إذ قد تحدث بعض العقبات أو الآثار غير المحمودة في مجالات معينة، وربما تعيق عمل صناعة معينة أو تجارة معينة.

إنَّ كل التغييرات في حاجة إلى وقت، والتغييرات الكبرى تتطلب وقتاً طويلاً.

خلال انعقاد مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتوظيف في هافانا عام 1948م، اجتمعت الدول الكبرى الشريكة في التجارة العالمية واتفقت على صياغة ميثاق منظمة التجارة الدولية WTO.

ومنظمة التجارة الدولية أُنشئت للإشراف على تطبيق اتفاقية (الجات)، ووضع أسس التعاون بين (الجات) والبنك الدولي وصندوق النقد الدولي، وتنسيق السياسات التجارية في الدول الأعضاء.

وقد ذكر بعض الاقتصاديين أنه قد يترتب على إنشاء منظمة التجارة العالمية آثار عديدة، وخاصة في مجال الاستثمارات والصناعات الوطنية، من مثل:

1- الانفتاح على العالم الخارجي، دون حماية جمركية للصناعات الوطنية.
2- تحرير التجارة من كل قيود تعيقها، وإتاحة المنافسة التامة التي تهدف إلى تحسين الأداء، وجودة الإنتاج.
3- اشتداد حدة المنافسة بين الصناعات الوطنية والصناعات الأجنبية.
4- حصول المستهلك على أقصى درجات الإشباع لحاجياته ورغباته بأقل تكلفة ممكنة، على حساب الولاء الوطني.

عولمة الألفية الثالثة

في بداية الألفية الثالثة يتزايد الإدراك بأنَّ الجنس البشري يمر على أعتاب مرحلة جديدة من التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، تعتبر العولمة أبرز سماتها الرئيسية. فقد أصبح العالم قرية كونية صغيرة، مرتبطة بسوق إلكترونية أو فضاء إلكتروني واحد، تنتقل المعلومات الاقتصادية والعلمية بسرعة الضوء، في عالم لا يوجد فيه مكان للسرية. ولقد أصبح التحدي الذي يواجه العالم في ظل العولمة أكثر حدة، كما يقر بذلك كثيرون، فإنَّ للعولمة – التي وصفت بحافلة دون سائق – عواقب خطيرة وآثاراً غير محمودة، ولا يمنع ذلك من أنها قد تتيح فرصاً جديدة. ومن ثم، فلسنا وحدنا في العالم الإسلامي مَنْ يتخوف من العولمة، ففي داخل الأسرة الغربية مَنْ يحذِّر بشدة ويقاوم هذه الظاهرة، وفي مقدمة هؤلاء الفرنسيون والكنديون.

ورغم ذلك فالعالم الإسلامي مازال يهرول نحو العولمة اقتناعاً أو اضطراراً، دون أن يأخذ في الحسبان الآثار السلبية التي ستترتب على ذلك، وخصوصاً من حيث عدم المساواة، وعدم الاستقرار، وفقدان السيادة الوطنية، وهي أمور قد تضعف النسيج الاجتماعي والاقتصادي في المجتمعات. وفي هذا الصدد يرى جون غراي في كتابه (الفجر الكاذب: أوهام الرأسمالية العالمية) : أنَّ الفجر الذي

وعدت به السوق الحرة الأمريكية دول العالم، هو في النهاية فجر كاذب، لأنه ليس كل شيء يمكن أن يتاجر به أو يجب أن يتاجر به.

وباختصار فإنَّ بعض الباحثين يرى أنَّ العولمة لا تزال بغير قواعد، وإذا استمرت في مسارها الحالي فستكون وبالاً، لا على الأقطار النامية وحدها، بل على كامل المنظومة الاقتصادية العالمية. ونظراً لأهمية هذه الظاهرة وانعكاساتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية على العالم الإسلامي خاصة، فإنه يتحتم علينا ضرورة دراسة ما سوف تحدثه هذه الظاهرة من قيم اقتصادية واجتماعية وثقافية، إذا كنا نريد أن يكون لنا مكان تحت الشمس، شمس القرية الكونية التي يؤسسها العالم في عصر العولمة. وهنا نطرح التساؤل التالي: كيف ينبغي أن نتعامل مع العولمة؟

هنا، أؤكد أننا مطالبون جميعاً بالتعامل الواعي مع العولمة، قبولاً أو رفضاً، انطلاقاً من موقف المعرفة والإدراك، لا من موقف الجهل أو التجاهل.

البطالة وسوق العمل

لا شك أنَّ من أبرز المشاكل التي تواجهها المجتمعات المعاصرة وأخطرها أثراً على الكيان الاجتماعي والاقتصادي، ظاهرة البطالة التي يعاني منها العالم الشر الكثير. ولهذا، كان لابد أن تستحوذ هذه الظاهرة على قدر كبير من اهتمام وتفكير علماء الاقتصاد، ليكشفوا عن أسبابها ودوافعها، توخياً لإيجاد سبل العلاج الناجع لها، حتى يبرأ المجتمع من أخطر أمراضه.

فلقد حظيت ظاهرة البطالة باهتمام على الصعيدين النظري الوصفي، والواقعي التطبيقي. فتعددت المذاهب والنظريات تجاهها وتنوعت أشكالها وصورها، واختلفت أسبابها ومبرراتها، وعمت آثارها وأضرارها الفرد والمجتمع والدولة.

وقبل ذلك فقد نادى الإسلام بالعمل وحث عليه، كما نهى عن البطالة في الوقت نفسه، بحيث لا يقعد المرء فارغاً عن العمل، لأن البطالة تؤدي إلى فساد المجتمع واضطرابه. فعندما تعطل عدد كبير عن العمل سواء أكانوا مكرهين على ذلك أو كسلاً منهم، فقد ضاعت – في المقابل – جهود كبيرة على الأمة، كان يمكن أن تنتج وتؤدي دورها في تقديم الإنتاج. فالبطالة مشكلة اقتصادية واجتماعية وإنسانية ذات خطر، فإذا لم تجد العلاج الناجع فإنَّ خطرها – للأسف يتفاقم على الفرد والأسرة والمجتمع.

جاء في كتب التاريخ أنَّ أحد الخلفاء أوقف أحد نوابه على بعض أقاليم الدولة الإسلامية، وسأله: ماذا تفعل إذا جاءك سارق؟ قال: أقطع يده. فقال له الخليفة: وإذن فإن جاءني منهم جائع أو عاطل فسوف أقطع يدك. إنَّ الله استخلفنا على عباده لنسد جوعتهم، ونستر عورتهم، ونوفر لهم حرفتهم. فإذا أعطيناهم هذه النعم تقاضيناهم شكرها. يا هذا إنَّ الله خلق الأيدي لتعمل، فإذا لم تجد في الطاعة أعمالاً التمست في المعصية أعمالاً. فاشغلها بالطاعة قبل أن تشغلك بالمعصية. وهكذا لا نستطيع أن نرى دولة من دول العالم قديماً أو حديثاً اتخذت في معالجة البطالة أسلوباً حكيماً، كما اتخذه الإسلام، ولا نجد نصوصاً في قوانينها، كما نجد ذلك في شريعة الإسلام.

ويبقى التساؤل الأبرز: كيف يتعامل سوق العمل مع البطالة المتفشية؟ ذلك لأنه كما يقول الراغب الأصفهاني: مَنْ تعطل وتبطل انسلخ من الإنسانية، وصار من جنس الموتى.

الخدمات الاستشارية

تُعدُّ التنمية الاقتصادية والاجتماعية، في هذا العصر خاصة، هدفاً تسعى إليه المجتمعات، وتجند لها طاقاتها البشرية والمادية، من هذا المنطلق ندرك أهمية الدراسة والبحث والاستشارة للوصول لقرار سليم، يعتمد إطاراً منهجياً يحكم أيَّ قضية تحتاج لتغيير أو تطوير. ولا عجب أن تصبح الدراسة والبحث والاستشارة جزءاً أساسياً من العمليات الإدارية في الدول المتقدمة، تنفق عليها المبالغ الكبيرة، وترصد لها ميزانيات ضخمة، بل إنَّ هناك مَنْ يزعم أنَّ حروب المجتمعات وصراعاتها القادمة ستكون حروباً معلوماتية، وصراعات تقنية.

وغير خافٍ أنَّ الجامعات اليوم لم تعد مؤسسات تعليمية فقط، بل إنها ومن خلال أهدافها الأساسية الأخرى (البحث العلمي، وخدمة المجتمع)، دخلت معترك العملية الادخارية طويلة المدى نتيجة ما تضمه من خبراء ومستشارين في التخصصات العلمية كافة. لذا، فقد ازدهرت سوق الخدمات الاستشارية في السنوات الأخيرة، مما يعطي مؤشراً على إدراك متخذي القرار في المؤسسات والقطاعات المختلفة أهمية الأخذ برأي وخبرة أهل العلم والاختصاص، كلٌ في مجال اختصاصه.

فأصبح لدينا أكثر من (3000) مكتباً للدراسات الاستشارية في فروع العلم المتنوعة، ومعاهد ومراكز تعنى بالخدمات الاستشارية والبحوث، بما يوحي أنَّ مجالاً استثمارياً لقي إقبالاً طيباً من مؤسسات المجتمع. من هذا المنطلق وإدراكاً من

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لدورها المهم في خدمة التنمية الاقتصادية والاجتماعية، فقد أنشأت معهداً للبحوث والخدمات الاستشارية، ليكون رافداً قوياً لحركة البحث العلمي فيها، وليدعم رسالتها تجاه مجتمعها.

ويبقى هنا تساؤلات مهمة حول: آفاق الخدمات الاستشارية المرحلية والمستقبلية، وحجم ونوع العقبات والعوائق التي يمكن أن تؤثر على مسيرة ونجاح عمل الخدمات الاستشارية. أترك الإجابة على هذه التساؤلات للمختصين والمهتمين بالشأن الاستشاري؟؟

بَيْدَ أننا نرى أنه آن الأوان الآن لأن نهتم بالخدمات الاستشارية في جامعاتنا؟؟

اقتصـــاديات الوقـــت

اقتصـاديات الوقـت مصـطلح مـألوف في الأدبيـات الاقتصـادية، والاهتمـام بموضـوعه في ازديـاد مسـتمر. ومظـاهر اهتمـام الاقتصـاديين بهـذا الموضـوع متعـددة. فالتحليل الاقتصادي يعتمد الوقت. ويتمثـل هـذا في النـوع المعـروف باسـم التحليـل الحركي. إنه تحليل يعتمد الوقت، وهذا مقابل التحليـل السـكوني، الـذي لا يعتمـد الوقت. والتقدم التقني موضوع آخر يجـري الاقتصـاديون التحليـل فيـه عـبر الوقـت. بـل نسـتطيع القـول إنَّ اقتصـاديات الوقـت أعمـق مـن هـذين المثـالين المـذكورين، والأدبيات الاقتصادية ترقى به أن يكون فرعاً رئيساً في الدراسات الاقتصادية.

ولعل تطبيقات اقتصـاديات الوقـت الواسـعة، تظهـر في الأدبيـات الاقتصـادية عن التقدم والتخلف. إنَّ من العوامل الفاصلة بين مجتمعات تقدمت، ومجتمعـات لا تزال ترسف في أغلال التخلف، عامل اقتصاديات الوقت.

وفي الشريعة الإسلامية فإنَّ الصلاة وهي تُشكِّل عقليـة المسـلم تـدخل ضـمن التشكيل التربوي الذي يحدد بداية يوم العمل ونهايته. وعلى هذا يصبح من مقاصد الصلاة تربية المسلم على أن يتعامل مع الوقت، على أنَّ هنـاك بدايـة ليـوم العمـل، وهناك نهاية لـه. ومـن هنـا، جـاء التوجيـه القرآنـي مبيِّنـاً أنَّ النهـار للعمـل والسـعي والجد، والليل للهدوء والسكينة والراحة.

وعليه، يمكن تلمس عناصر رئيسة تربط بين الصلاة وأهمية الوقت وتنظيمه، من خلال: التخطيط العام للاستفادة من الوقت، وتحديد بداية يوم العمل ونهايته، ليتلاءم مع البيئة المحيطة بالإنسان، واليقظة التامة لاستقبال الوقت ومروره وانتهائه، وإعطاء درجة أهمية لجزئيات الوقت؛ بحيث يترجم ذلك أهمية العمل، والتخطيط لوقت الفراغ، وهو ما يسمى في الأدبيات المعاصرة باقتصاديات الفراغ، وأهمية العمل الاقتصادي والتخطيط له في إطار العبادات المشروعة. وهكذا نجد في جانب المعاملات، وأحكام الزواج والنساء، والعدد والكفارات، والحدود والزكاة والحج...، عناية خاصة بالوقت واقتصادياته.

من هنا نرى أنه آن الأوان الآن لأن نهتم باقتصاديات الوقت في حياتنا؟؟

الفصل الرابع: رؤى تقنيـة

تقنيـــة الحاسـوب

طوال ربع قرن ظل يُنظر لأجهزة الحاسوب كآلات غريبة لا يفهمها ولا يُشغلها إلا العباقرة. ولكن أجهزة الحاسوب تغيرت، وتغير كذلك الدور الذي تلعبه. ولم تعُد حكراً على فئة الفنيين، وبدأت في تحقيق أغراضها كأجهزة تنظيم في عصر تخمة المعلومات. وعلى أية حال، ينبغي الأخذ بعين الاعتبار التكاليف البيئية والإنسانية الخاصة بإنتاجها واستخدامها، والتكاليف التي تدفع من أجل حوسبة العالم تكاليف كبيرة. فقد أصبحت هذه الأجهزة المستهلك الرئيس للكهرباء في الدول الصناعية.

إنَّ صناعة أجهزة الحاسوب التي تنامت على وجه السرعة بحيث غدت واحدة من أكبر الصناعات وأقواها في العالم، لها آثارها البيئية، وإذا كان لهذه الآلات أن تساعد على إقامة المجتمع المستديم، فإنه ينبغي التصدّي لجميع هذه المشكلات البيئية.

وأحد الأسباب التي أدت إلى الاهتمام بآثار أجهزة الحاسوب وإنتاجها، هو أنَّ كلاً من تقنية الحاسوب والصناعة الحاسوبية قد تطورتا بمعدلات مذهلة، إذ تقدر قيمة الصناعة الحاسوبية بما في ذلك البرامج بـ 360بليون دولار في العام في العالم.

ويختلف قطاع الحاسوب بصورة مميزة عن الصناعات التقليدية، لأن صغر حجم منتجاته، وقيمتها العالية، تجعل شحنها أرخص عند نقلها مسافات بعيدة، ولأن الاستعمال واسع الانتشار لأجهزة الحاسوب في الاتصالات الدولية، أعطى الشركات المصنّعة مرونة تحديد مواقع الإنتاج.

إنَّ الحاسوب هو مدفع تقني طليق، فهو جهاز له قدرات هائلة على تغيير الصحة البيئية والاقتصادية للأفضل أو للأسوأ. ومن الملاحظ، أننا لا نفهم سوى القليل عن الأنظمة البيئية لكوكبنا، أو عن ملايين أنواع الكائنات الحيّة التي تكوّن هذه الأنظمة.

وفي الوقت الذي يقدم فيه الحاسوب قدرة هائلة على جمع المعلومات وتخزينها وتنظيمها، والتي يمكن أن تساعدنا على فهم البيئة العالمية من خلال المراقبة والنمذجة.

إلا أنَّ إنتاج الحواسيب ليس بالنظافة التي تُوحي بها المواقف المخضرّة. إذ تستخدم الصناعة الإلكترونية عدداً كبيراً من المواد السامة أو التي تعرّض البيئة للخطر، والتي يتسرّب الكثير منها إلى مواقع العمل والبيئة. كما لم تقم أجهزة الحاسوب بالحد من الآثار البيئية لأولئك الذين يستخدمونها، فهم يعانون من آثار جسمانية، والتهابات الرسغ ومشاكل في الرؤية.

وهكذا، فمنذ البداية، كان الإنسان ولا زال صانع أدوات، وتكمن أهمية أيّ أداة لا في سحرها التقني، بل في كيفية استخدامها، ومن ثم، فهل آن الأوان لتفعيل الحواسيب العلمية والتربوية؟

عصـــر الإنـــترنـــت

في الثمانينـات بـدأت شـركات كـبرى باسـتخدام الإنترنـت، وفي التسـعينات بدأت الشركات التجارية والصناعية من كل الأنواع والأحجام الاتصال بالإنترنت. وهكذا فإنَّ عدداً من الشبكات الحاسوبية العاملة في تسعين بلداً في العالم اليوم هي التي تشكل الإنترنت، مع نمو متزايد وسريع في عدد الشبكات الجديدة التي تدخل إلى نطاق الإنترنت.

وحتـى أوائـل التسـعينات كانـت الإنترنـت تسـتعمل أساسـاً مـن جانـب الأكـاديميين، والمتحمسـين لاسـتعمال الحواسـيب. أمـا اليـوم فالاهتمـام بالإنترنـت يتزايد على نطاق واسع، خاصة بين قطاع رجال الأعمـال، والشـركات التجاريـة، مـع شـروع الإنترنـت بتقـديم فـرص أكـبر وأعظـم في مجـال الاتصـالات وجمـع المعلومات والتسويق والصفقات التجارية.

الإنترنـت ليسـت حاسـوباً ضـخماً يجلـب كـل الأشـياء معـاً إلى مكـان واحـد مركـزي، بـل هـي شـبكة عالميـة مكونـة مـن منظمـات ومؤسسـات متنوعـة، تشـمل الدوائر الحكومية والجامعات والشركات التجارية، الـتي قـررت السـماح للآخـرين الاتصال بحواسيبها.

ويمكن تسويق أيّ شيء عبر الإنترنت، بدءاً من الأزهار وصولاً إلى خـدمات الشركات المهنية والبرامجيات الحاسوبية. وبعـض دعايـات التسـويق علـى الإنترنـت

متطورة حقاً، وبعضها الآخر تعوزه الخبرة والبراعة، لكنها تُعدُّ كلها دعاية اختبارية، وأفضلها تزودك بمعلومات مفيدة إلى جانب دورها التسويقي.

لقد وجدت الشركات الأولى التي نظرت في إمكانيات التسويق على الإنترنت سوقاً عالمية واسعاً، وعملت على حشو أعضاء المجموعات الإخبارية بالإعلانات والدعاية. ولكنَّ هذا الأسلوب لم يكن ملائماً، لأنَّ هذه الشركات تلقت الكثير من المكالمات الغاضبة والشكاوى، مما أعاق عمل حواسيبها واضطر بعض منها للتخلي عن الفكرة.

وقد أدرك مجتمع المال والأعمال وجود سوق جماعي يمكن الوصول إليه عبر الإنترنت. إنَّ الإنترنت واسطة تسويق جديدة مليئة بالوعود المستقبلية في هذا المجال، ولكن ينبغي التعامل مع هذه الواسطة بحذر.

ومن الحكمة مراقبة خيارات الإنترنت، وخبرات العاملين من خلالها، وتجارب الآخرين في هذا المجال والتعلم منها والالتزام بقواعد أو قوانين التسويق الجديدة عبر الإنترنت.

ومن ثم، فقد فتحت الإنترنت، وسوف تظل تفتح طرقاً داخلية هائلة في حياتنا الشخصية وحياتنا العملية، والعلمية، فهل آن الأوان للاستفادة من ذلك.

ثـــورة الإنفوميديـا

قد تكون أيّ آلة حاسبة للجيب بين أيدينا اليوم أكثر من حيث القدرة والإمكانات مما كانت عليه كل الحواسيب التي وجدت قبل عام 1950م، وحتى ألعاب الفيديو التي يلهو بها أطفالنا الآن، هي الأخرى لديها من الإمكانات ما يفوق قدرة حاسوب كلف إنشاؤه ملايين عدة منذ عشر سنين مضت.

إنَّ ثورة الوسائط المعلوماتية آتية وفي جعبتها عجائب تخرج عن نطاق الحصر. فكما أذهلت السيارات والطائرات الأولى أجدادنا، وأدهشنا الراديو والتليفزيون لدى ظهورهما، ستقلب ثورة الوسائط المعلوماتية Infomedia Revolution حياتنا رأساً على عقب.

فلا عجب، إن قيل إنَّ أعظم ثلاث قوى تقنية على الساحة الآن: الحوسبة، والاتصالات، والوسائط المعلوماتية (الإعلامية) التي من خلال تكييف نفسها معاً تحقق صيغة ائتلافية جديدة فيما بينها تعرف باسم (التقارب التقني Convergence). ويحقق ذلك التقارب عائداً يفوق 30 تريليون دولار سنوياً.

وستبرز الوسائط المعلوماتية – كما يقول الخبراء – ومن خلال تلك الصناعة الجديدة، التي تتنامى في سرعة مذهلة، كسلاح أساسي جديد للمنافسة في القرن الحادي والعشرين.

وسيظهر إلى الوجود جيلٌ جديد من شركات تمتلك تقنية ثاقبة، تدعم بدورها الوسائط المعلوماتية، لتحقق نجاحاً فلكياً.

لقد تقادم عصر المعلومات تقادم الحواسيب البالغ عمرها أكثر من خمس وعشرين سنة. فلماذا نتكلم عن عصر كانت أجهزة الحاسوب فيه لا تعالج سوى البيانات، بينما نجدها تعالج الآن، الصور والفيديو والصوت – الوسائط الإعلامية – بالقدر ذاته من السهولة؟!

وقد توافق عصر المعلومات الذي انطلقت بداياته في السبعينات، مع عصر الحواسيب الرئيسية. واليوم، لدى أطفالنا قدرة أكبر على معالجة البيانات بين أيديهم.

ولذا ، سيكون المحرك الاقتصادي Economic Engine للاقتصاد العالمي الجديد مكوناً من صناعات الإنفوميديا، وهي الحوسبة والاتصالات والإلكترونيات الاستهلاكية.

وهذه الصناعات هي أكبر الصناعات العالمية الآن، وأكثرها ديناميكية ونمواً، حيث يبلغ رأس مالها أكثر من 3 تريليونات دولار.

إنَّ ثورة الوسائط المعلوماتية (الإنفوميديا) تطرق أبوابنا بالفعل، ولن تدع أمامنا سوى خيارات تشترك كلها في صعوبة واحدة: النظرة المستقبلية.

صناعة المعلوماتيـــة

تعد المعلوماتية اليوم في ظل التغيرات التقنية المتطورة أساس وعماد الاقتصاد الحديث.

فالتطورات العلمية الحديثة ترتبط بأنظمة المعلوماتية والاتصالات. وتعتمد المعلوماتية في انتشارها على أنظمة المعلومات، فكلما تقدمت هذه الأنظمة وارتفعت، أتيح للمجتمع أن ينمو ويتطور ويتقدم. وأصبح من المسلم به الآن أن (برامج المعلومات) تُعدُّ قيمة غير تقليدية نظراً لاستعمالاتها المتعددة في كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية.

وهذه القيمة المتميزة لبرامج المعلومات تجعلها محلاً للتداول، في سوق يدور فيها الصراع حول مبالغ هائلة.

وللبرهنة على أهمية المعلوماتية، ينبغي الأخذ في الحسبان أنَّ أيّ تطبيق معلوماتي، أو المعلوماتية بشكل عام، يعتمد على البرنامج المعلوماتي.

ويُعدُّ البرنامج المعلوماتي عنصراً أساسياً وشريكاً في أنظمة المعلومات، وفي المجالات الصناعية المتعددة.

إنَّ برامج المعلومات تلعب دوراً فعالاً ومؤثراً في المجالات الطبية الحديثة، وعلوم الفضاء، والأسلحة الإلكترونية، والأعمال الإدارية، وغيرها من الأعمال.

لقد نمت صناعة المعلوماتية نمواً كبيراً في الآونة الأخيرة، ومازالت مستمرة في نموها وتطورها. وهي مثال بارز لصناعة التقنية المتطورة التي تحتاج لاستثمارات ضخمة من رأس المال وعمالة مدرّبة على مستوى رفيع لتطوير هذه المنتجات.

وطبيعة المعلوماتية ونموها السريع كصناعة وتنوعها، أدى إلى ظهور كثير من المشكلات الاقتصادية والمالية والاجتماعية.

ولا عجب، فإنَّ استخدام الحاسب الآلي في المجالات المتعددة، من شأنه أن يوفر الوقت والجهد والمال، ويختصر المسافات، ويحث التقدم الحضاري في المجالات المختلفة.

لقد أصبح سائغاً أن يقاس مدى تقدم الأمم بمدى أخذها بأسباب التطور التقني، وأصبح التفوق في صناعة المعلوماتية، بمثابة الجسر الذي عبرت من خلاله العديد من الدول من أزمتها إلى التقدم والثروة والنجاح.

الفتوحـات التقنيـة

في عالم اليوم، يضطر العديدون أن يسلموا بأنَّ الفتوحات القتنية الجديدة المهمة، قد غيّرت مؤقتاً ميزان القوى العسكرية والاقتصادية.

وحتى بقاء كوكبنا نفسه أصبح موضوع بحث. ومع ذلك فالعديدون منا يفترضون أنه مهما غيرت التقنية الوسائل التي تمارس الأمم بموجبها مصالحها السياسية الجغرافية، فإنَّ تلك المصالح نفسها تظل على حالها. على أنَّ هذا الرأي لا يصدق دائماً.

إنَّ التطورات المضافة في العلم والتقنية التي غالباً ما نلخصها بعبارة (ثورة المعلومات) غيّرت شكل واتجاه الأحداث الوطنية والدولية بطرق أساسية.

فنحن نشهد ثورة في العلاقات بين الدول ذات السيادة، وفي العلاقات بين الحكومة والمواطنين، وبين هؤلاء المواطنين وأقوى المؤسسات الخاصة في المجتمع.

إنَّ ثورة المعلومات تشكل تهديداً عميقاً لبُنى القوى في العالم، ولسبب وجيه، فطبيعة الدولة وسلطاتها ذات السيادة تتغير، بل تتعرض للخطر بطرق أساسية.

ولا تزال ثورة المعلومات رغم كونها أكثر الثورات ذكراً في التاريخ، تُفهم فهماً قليلاً. فالكثير من التجديدات التي أعلن عنها بأعلى الأصوات، لم يتحقق

حتى الآن: المجتمع بلا شيكات، والمكتب بلا أوراق، والجرائد التي تصل عبر تلفزيون الكوابل، وطائرة حوّامة (هليكوبتر) في فناء خلفي لكل بيت.

إنَّ التقدم الاقتصادي، بصورة كبيرة، هو عملية زيادة المساهمة النسبية للمعرفة في إيجاد ثورة.

فقد أصبحت الآن القواعد والعادات والمهارات والمواهب اللازمة لكشف وتصيّد وإنتاج وحفظ واستغلال معلومات، أهم قواعد وعادات ومهارات ومواهب الجنس البشري.

عصـــر الديجتـــال

تُعدُّ الاتصالات والمعلومات بمثابة شريان الحياة في الاقتصاد الجديد، حيث غدت المعلومة المحور الأساس للنمو الاقتصادي. وقد أصبح تحقيق طريق المعلومات السريع أمنية تسعى إليها كل الدول. ولكن، هناك أوجه اختلال خطيرة فيما يتعلق بفرص الوصول إلى المعلومات. ففي عام 1990م كان عدد خطوط الهاتف المتوفرة في بنغلاديش والصين ومصر والهند وأندونيسيا ونيجيريا مجتمعة أقل منه في كندا التي يعيش بها (27) مليون نسمة فقط. ومع الأسف الشديد يبدو أنَّ العالم الإسلامي لم يفقه بعد سر عصر الديجتال. بل إنَّ معظم الدول الإسلامية تعاني من قصور فاضح في الاتصالات والمواصلات، وذلك إذا قورنت بالدول الصناعية.

وما قاله ثابو مبيكي رئيس جنوب أفريقيا: أن بشراً لا يقل عددهم عن نصف البشرية لم يستخدموا الهاتف مرة واحدة في حياتهم. وحقيقة الأمر أنَّ هناك خطوطاً للهاتف في منهاتن أكثر مما يوجد منها في كل بلدان أفريقيا جنوب الصحراء، وهذا ينطبق أيضاً على دول العالم الإسلامي في واقع الحال، وللأسف.

وإذا كان أصحاب الأمية الحاسوبية سيشكلون فائضاً عن الحاجة، وسيعانون من الأبرتهايد المعلوماتي، كما ذهب كاتب صحفي يدعى دافيد كلاين، من أنَّ المستقبل قد يكون بمثابة أرض العجائب لأقلية ممن تتاح لهم الموارد والقدرة على

الحركة والتعليم العالي، وقد يكون في الوقت نفسه بمثابة عصور مظلمة لأغلبية المواطنين الفقراء غير الحاصلين على التعليم العالي والذين يوصفون بأنهم لا ضرورة لهم.

وما زال بوسعنا أن نتحدث عن الأبرتهايد المعلوماتي، فقد اتخذت القطبية الثنائية عدداً من الأشكال طوال القرن الماضي: الشرق والغرب، والشمال والجنوب، المتجهون إلى المستقبل والمتجهون إلى الماضي. ويمكن أن تضاف القطبية الثنائية المعلوماتية.

ومن ثم، فهل سيكون أبناء الأمة الإسلامية أول من سيسجل في هذه القائمة؟؟

اختبـــــار القــدرات

فيما مضى كانت الجامعات – بصفة عامة – تستقبل طلاب الثانويات حتى أولئك الحاصلين على معدلات متوسطة. ربما لأن أعدادهم كانت محدودة نسبياً، وقدرة الجامعات كانت أفضل. أما في السنوات الأخيرة، فقد أصبحت الجامعات غير قادرة – إلى حد ما – على استيعاب جميع الطلاب. من هنا كانت الحاجة إلى مقاييس ضابطة للمستويات العلمية، ومعايير مناسبة للقبول، توفر العدالة والمساواة وتحقق الكفاءة والتميز.

ولذا، أنشيء المركز الوطني للقياس والتقويم، ليقوم بإعداد تلك المقاييس والمعايير وفق أساليب علمية، مع الاستفادة من تجارب الآخرين. وهكذا طرح المركز الوطني للقياس والتقويم فكرة اختبار القدرات. وحيث إنَّ التجربة حديثة، فقد كثر الحديث عن إيجابيات وسلبيات اختبار القدرات.

ففريق يرى أنَّ هذا العصر المتخم بأنواع المعارف والمهارات، يستدعي ضرورة إجراء مثل هذا الاختبار. وفريق آخر يرى أننا لم نصل إلى الوقت المناسب لتطبيق هذا الاختبار، بل الحاجة إلى دراسات مفصلة عن البيئة والنظام التعليمي ونوعية الطلاب والاختبارات. ومع ذلك يبقى السؤال مطروحاً: هل اختبار

القدرات مقياس كافي للحكم على مستويات الطلاب، أم أنه معيار للتمايز وليس للحكم على المستوى؟؟ هنا أعرض بعضاً من الأمور المهمة في هذا الشأن، منها:

أولاً: إنشاء المركز الوطني للقياس والتقويم من الخطوات المباركة لوزارة التعليم العالي.

ثانياً: اختبار القدرات فكرة حديثة في جامعاتنا السعودية، ترتكز على قياس دقيق لمهارات الطالب؛ لإعطاء حكم على مستواه، ولتقرير قبوله في الجامعة من عدمه، بَيْدَ أنَّ البدائل الأخرى غير متاحة أمام طلابنا.

رابعاً: الطالب الجامعي ينبغي أن تتوافر لديه بعض المهارات، التي تُعدُّ شرطاً أساسياً لنجاحه واستمراريته في الجامعة.

خامساً: فكرة قياس الاستعدادات والقدرات للتنبؤ بالتحصيل الدراسي مسألة مهمة، ولهذا فهي في حاجة إلى وقت كاف للدراسة والمناقشة.

الفصل الخامس : رؤى أدبية

أدب الطفولة

يُعدُّ أدب الطفولة أحد أهم العلوم الأدبية المعاصرة، التي بدأت تخاطب الشرائح العمرية للأطفال في أرجاء المعمورة عبر المنهج التعليمي تارة، أو النشاط الحر الموجه نحو تذوق أنواع ذلك الأدب تارة أخرى. وإذا كان أدب الطفولة في أدب لغتنا العربية يمثل أحد التخصصات الدقيقة في الأدب العربي، فإنَّ عمره الزمني لا يزيد عن مائة وخمسين عاماً، وهو بحاجة إلى المؤصل والمنظر والمبدع والناقد والباحث والمخطط التربوي وغيرهم، وقد شهد أواخر القرن الماضي، وأوائل القرن الحالي ازدهاراً في ميدان الاهتمام بجوانب الطفولة.

ذلك لأن الطفل ليس أمانة عند أسرته أو عائلته أو مجتمعه فحسب، وإنما هو ذخيرة الأمة وعدتها ولبنات غدها، لذلك احتشدت العلوم الإنسانية، بل وبعض تخصصات العلوم التطبيقية والتجريبية، كي تبحث في مراحل الطفولة من جوانبها كافة. فلا عجب إن وجدنا الهندسة في مجال صناعة لعب الأطفال، والطب في مجال صحة الأطفال، والزراعة في مجال غذاء الأطفال، والاقتصاد في مجال اقتصاديات الأطفال.

في عام 1930م بدأ مصطلح أدبيات الطفل في الدوريات العربية، في عناوين المقالات، وبين ثناياها ظهرت إلى الوجود ملامح تأصيل جنس أدبي للطفل. أما في تراثنا، فإنه لم يغفل الالتفات إلى الطفل، رعاية وعناية، فقد لقي الطفل في ظل الإسلام الرعاية الكاملة في أتم صورها: تنشئة وتربية وتثقيفاً، وبإلقاء نظرة متأنية على أدب الطفل العربي في العصر الحديث، نجد من خلالها الانعكاس الإيجابي لمردود الإفادة من موروث الحضارة العربية الإسلامية تجاه الطفل وأدبه.

وغير خافٍ، أنَّ من الأهداف الرئيسة لأدب الطفل واتجاهاته: تدعيم البناء الروحي والمادي المتوازن في شخصية الطفل، وتلقين الطفل القيم والسلوكيات والآداب العامة، ورعاية الطفل الموهوب وحفزه وتشجيعه، والحفاظ على اللغة العربية على ألسنة الناشئة، وتشجيع الطفل على حرية التعبير وأساليب التفكير.

وهنا، أؤكد على أنَّ الطفل رعاية وتربية وتعليماً واهتماماً بكل شؤونه، اتجاهٌ واضح، وهدفٌ بارز من أهداف شريعتنا.

الطفـــل الـموهـوب

إذا كان الاهتمام بالأطفال المعوقين من الناحية العقلية خليقا بالثناء ومفيداً. فإننا نرتكب خطأ، إذ نغفل فئة أخرى من الأطفال الذين نتركهم في البلبلة الأكثر اتصافاً بأنها تامة، إلى حد يؤدي بهم إلى اليأس. إنهم الأطفال الموهوبون. وربما يقول بعض الناس إنَّ الأطفال الذين وهبهم الله مواهب ممتازة، ومهارات عالية، ليسوا بحاجة للمساعدة أبداً. ومن المؤكد – هنا – القول أنَّ الطفل الموهوب يبرز دون عون الجماعة في كثير من الحالات، ويشق طريقه في المجتمع بسهولة. ولكنَّ الأمور لا تسير دائماً على هذا النحو.

فلا نعرف شيئاً أكثر مجلبة للحزن من أن تتقهقر عبقرية كامنة تقهقهراً بطيئاً، عبقرية يكتم أنفاسها أناس أسوياء، كما يفعل على وجه الدقة بالمعاق. فالسأم، في الصفوف التي يكرر فيها المعلمون مفهومات يتم تمثلها وتصورها على الفور يحبط الطفل الموهوب لأنَّ الكلمة لا تتصف بالمبالغة، حيث ينتهي إلى أن يتخلى عن عبقريته. وغير خافٍ أنَّ الاهتمام بالأطفال الموهوبين قديم جداً، ففي الجمهورية يقضي أفلاطون بتمييز الأطفال الموهوبين، حتى في أسر الفلاحين والصناع. وفي القرن الخامس عشر، أسس السلطان محمد الفاتح مدرسة خاصة، هدفها أن تنشيء أفكار رائعة في أجسام مخشوشنة.

وقد استوحى جيفرسون، أحد رؤساء أمريكا، من أفلاطون فكرته، حيث اقترح أن تجمع أفضل العبقريات في ولاية فرجينيا في مدرسة خاصة، أطفال الفقراء وأطفال الأغنياء على حد سواء. وفي وقت متأخر، اتجه الاهتمام العام صوب الأطفال المعجزة، وتحمس عامة الناس والعلماء لكارل ويت الذي كانت جامعة لا يبزغ قد استقبلته دكتوراً في الفلسفة وهو في الرابعة عشرة من عمره، أو كريستيان هنيكان، الذي مات في الرابعة من عمره وكان يقرأ الألمانية، ويعرف الفرنسية، وكان يحفظ خمسمائة حكمة لاتينية.

وللأسف، لم يعد ثمة قط أيّ اهتمام بالأطفال المعجزة في أيامنا هذه. هنا أتساءل كيف نرعى أطفالنا الموهوبين؟ إنَّ غالتون الذي كان هو ذاته طفلاً معجزة، هو الذي شاد علم الأطفال الموهوبين، فوصف طباعهم، واهتم بعبقريتهم، وأشير هنا بكل فخر لمؤسسة الملك عبد العزيز ورجاله لرعاية الموهوبين في المملكة، وبرامجها الإثرائية، ومناشطها الفاعلة، وسعيها الدؤوب لرعاية كل موهوب. ويبقى الطريق أمامنا طويلاً.

تدريس اللغة الإنجليزية

لقد مرت طرائق تدريس اللغات الأجنبية بمراحل متعددة. فقد ظلت قروناً طويلة تتمثل في طريقة عامة واحدة، تقوم على ما يُعرف باسم الطريقة التقليدية أو طريقة القواعد والترجمة، التي تستخدم فيها الترجمة من اللغة الأجنبية إلى اللغة الأم، بالإضافة إلى تحليل اللغة الأجنبية إلى عناصرها النحوية المختلفة. بَيْدَ أنَّ طرائق التدريس أخذت في التعدد والتنوع منذ القرن الماضي، نظراً لازدياد الاتصال بين شعوب الأرض، والحاجة لتعلم ودراسة اللغات المختلفة. فضلاً عن تنوع حاجات المتعلمين وأغراضهم من تعلم لغة أجنبية.

وغير خافٍ، أنَّ هناك قضايا أساسية في هذا المجال أبرزها ضرورة التمييز بين تعلم اللغة واكتسابها من جهة، ودراسة اللغة وتحليلها كعلم من العلوم من جهة أخرى. ذلك أنَّ الخلط بين التعلم والدراسة، أدَّى في كثير من الأحيان إلى إغراق المتعلمين في بحر لا قرار له من التحليل اللغوي العقيم للجمل والعبارات وقواعد النحو، الأمر الذي لا يبعد المتعلم عن هدفه الحقيقي، وهو تعلم اللغة، فحسب، بل يؤدي أيضاً إلى إضاعة وقته فيما لا طائل فيه.

أما القضية الثانية فهي أهمية التمييز بين أساليب التدريس من جهة، وطرائقه من جهة أخرى، فكثيراً ما يختلط الأمر على المعلمين، بل حتى على واضعي

المناهج والمواد التعليمية. والقضية الثالثة تتمثل في أنَّ لكل طريقة من هذه الطرائق التدريسية للغات الأجنبية، ومنها الإنجليزية، أسساً لغوية وسيكلوجية واجتماعية، والقضية الرابعة والأخيرة تتعلق بالمهارات اللغوية الأساسية التي لا يكون تعليم لغة أجنبية ، بل حتى اللغة الأم تاماً دون اتقانها. وهذه المهارات هي: الاستماع والتحدث والكتابة والقراءة.

من هنا، أقول إنَّ أموراً عدة حفزتني لهذه الرؤية، أولها قرار مجلس الوزراء بالموافقة على تدريس اللغة الإنجليزية للمرحلة الابتدائية (الصف السادس) اعتباراً من العام الدراسي 1426/1425هـ، وثانيها الجدل الواسع النطاق بين المؤيدين والمعارضين، بين مَنْ يرى أنَّ تدريس اللغة الإنجليزية للمرحلة الابتدائية أساسي، ومَنْ يرى أنه كمالي. وثالثها، ما أثير من خلال دراسات وأبحاث ومقالات حول الآثار المتوقعة لهذه التجربة إيجاباً أو سلباً.

الأدب الإنجليـــزي

لا يخفى على كل مفكر ومثقف أنَّ للآداب في حياة الشعوب كل الشعوب تاريخاً طويلاً. فقد كانت عامرة بالقيم والمثل، وحافلة بالمواقف والحكايات، وزاخرة بالوصايا والإرشادات.

ولا غرو، أن أصبحت تلك الآداب في العصور المتأخرة أقساماً أكاديمية ومقررات دراسية ومشروعات بحثية وإعلامية، وفي هذا السياق فإنَّ الأدب الإنجليزي يحمل في طياته أساسيات التعرف على ثقافات الآخر وعاداته وتاريخه وقيمه.

وهكذا وجدنا في جامعاتنا كليات وأقساماً أكاديمية للغة الإنجليزية وآدابها، وكأنَّ الأدب الإنجليزي، ومن واقع ذلك المسمّى، يشكل حجر أساس في ذلك التخصص.

إذ لا شك في أنَّ دراسة أيّ أدب تنمي في الدارس ملكة التذوق للنصوص، وتشجع الموهبة الكامنة في النفوس، وهي وسيلة لإثراء الذاتية وجوانب الإبداع. وهنا، لابد من التأكيد على أهمية اختيار النصوص، بحيث لا تتعارض مع أصول عقدية أو قيم أخلاقية.

وبعد، فإنَّ هناك حقائق أساسية تتصل بالأدب الإنجليزي يحسن الإشارة إليها، منها: تُعدُّ الآداب مرآة الشعوب، ودراسة هذه الآداب لها فوائد عديدة، ثم إنَّ للآداب أهمية كبيرة في حياتنا اليومية، كما أنَّ في الأدب متعة فنية للدارس، حيث تطلعنا دراسة الآداب على الإبداعات الأدبية للآخرين.

إنَّ الدارس لنصوص الأدب الإنجليزي ينبغي أن يتبع منهجاً مناسباً لمعالجة النصوص المختلفة، سواء من حيث شكلها أو نوعها (قصة، رواية، شعر، نثر)، أو من حيث لغة النصوص وتراكيبها وصورها البيانية، أو من حيث مكونات تلك النصوص المختلفة.

وهكذا، فلا عجب إن اختلفت طرائق قراءة الأعمال الأدبية من دارس لآخر، بَيْدَ أنه لا توجد في الغالب قراءة خاطئة للنص.

ومع ذلك تبقى تساؤلات عديدة مهمة حول كيفية دراسة الأدب الإنجليزي وتدريسه ، مع يقيني أنَّ دراسة الآداب عموماً تُقدِّم للدارس خلاصة تجارب بشرية جديرة بالدراسة.

الفصل السادس : رؤى سياحية

صناعة السياحة

إنَّ السفر والسياحة تعتبران أكبر مصدر للعمالة في العالم، فقد استأثرت بمبيعاتٍ بلغت نحو 1916مليار دولار في عام واحد فقط.

جاء في تقرير دولي بعنوان : (حالة البيئة في العالم 1972 – 1992م) ما يلي :

تتباين نفقات السياحة كمساهمة في الناتج الإجمالي تبايناً واسعاً من بلد إلى آخر، حسب حجم الاقتصاد ومستوى الإنفاق.

إذ تتراوح حصة السياحة الدولية في الناتج المحلي الإجمالي لكثير من الدول بين 15 – 30٪.

ومما يجدر ذكره أنَّ السياحة ليست هي التي تؤدي إلى التنمية، وإنما التنمية العامة لبلد ما هي التي تجعل السياحة مربحة. ولذلك، لا تُعدُّ حصائل السياحة الدولية مؤشراً للدخل الحقيقي من السياحة.

على أنه يمكن أن يكون للسياحة آثار إيجابية وسلبية في آن واحد على البيئة البشرية، مثلها مثل غيرها من قطاعات التنمية الأخرى.

إنَّ التراث التاريخي والثقافي يحدّد جاذبية بلد معين للسياح، كما يشجع الحكومات على حمايته والمحافظة على معالمه، ولذا فإنَّ كثيراً من الدول تبذل جهوداً كبيرة لتوفير حماية منتظمة للمدن والقرى والمناطق الأثرية التراثية الجمالية، وخاصة ذات الأهمية التاريخية والفنية.

وبينما تلعب السياحة دوراً رئيساً في اقتصاديات المناطق الجبلية، فإنَّ الأضرار اللاحقة بالنظم البيئية بلغت في بعض الحالات مستوى حرجاً مما يضر بمستقبل السياحة.

ومع ذلك، فإنَّ كثيراً من البلدان النامية، التي تنوء تحت عبء الديون الخارجية، وتحتاج إلى العملة الصعبة، طرحت جانباً مخاوفها من أن تؤدي السياحة إلى تردي البيئة الطبيعية، ذلك المورد البالغ الجمال الذي يجعلها جذابة، وأدت السياسات القصيرة النظر هذه إلى تدهور ملحوظ في بيئة بعض البلدان، مما أبعد عنها أعداداً متزايدة من السياح.

السـياحة المستدامـة

يتطلب استمرار كل مجتمع تحقيق التضامن والتماسك بين أفراده، ووجود مجموعة مشتركة من القيم. وتُعدُّ التربية والتعليم إحدى الأدوات التي تساعده في استمرار القيم وتوارثها، وذلك من خلال دورها في عملية التنشئة الاجتماعية.

ويعبّر عن ذلك عالم الاجتماع الفرنسي إميل دور كايم بقوله إنَّ الإنسان الذي يكونه التعليم ليس بالضرورة الإنسان النموذج ، ولكنه الذي يريده المجتمع.

ومن هنا، فإنَّ التربية والتعليم تنمي روح الالتزام بين أفراد المجتمع، وتزودهم بالقدرات اللازمة، لإنجاز الأدوار المتوقعة منهم، وتغرس الثقافة الملائمة للبناء الاجتماعي القائم.

ومن هنا، حدَّد تالكوت بارسونز الوظائف الاجتماعية للمدرسة بأنها تربي الأجيال الناشئة على القيم السائدة في المجتمع، وأنها تعمل كقناة يتم من خلالها توزيع رأس المال البشري على المهن المختلفة.

وغير خافٍ، أنَّ التنشئة الاجتماعية يُقصد بها تشرب الفرد القيم والأفكار والمعايير السائدة في المجتمع، التي بدونها يصبح تكيف الفرد مع مجتمعه أمراً صعباً.

فالتعليم هو استثمار اقتصادي لأهم عنصر من عناصر الإنتاج، ألا وهو العنصر البشري، فتنمية الثروة البشرية من خلال نظام تربوي تعليمي يصبح عاملاً

رئيساً في جهود التنمية، وعنصراً مهماً من عناصر الاستثمار لإعداد القوى البشرية اللازمة لتحقيق أهداف التنمية.

وعليه، فقد ركز المختصون في مجال السياحة المستدامة وتسويق خدماتها على مسألة المواصفات التي ينبغي توافرها في العاملين في هذا المجال، وأجمع العديد من المختصين على ضرورة توافر حسن الخُلق والمظهر والهدوء واللباقة في الكلام والقدرة على التعامل الجيد مع السائح.

محددات السياحة المستدامة

غير خافٍ أنه يتوافر بالمملكة كل متطلبات إنجاح إقامة سوق سياحي متطور. وهنا ألمح بإيجاز إلى أبرز المحددات الشرعية والاقتصادية والاجتماعية للسياحة في المملكة العربية السعودية من خلال الآتي:

(1) تتميز المملكة بخصوصية فريدة، وهي أنها مهد الرسالة الإسلامية، وموطن الأماكن المقدسة، ومقصد الحج والعمرة والزيارة لأكثر من ربع سكان الأرض، أو ما يقارب 103بليون مسلم وهو ما يجعلها في موقع لا ينافسها عليه أحد في مجال تطوير سوق سياحي ضخم، يقوم على أساس الاستغلال الأمثل لهذه الميزة الفريدة في بناء قطاع سياحي يتميز بقدرته التنافسية العالية على احتلال مواقع متقدمة داخل سوق السياحة العالمية.

(2) وجود آثار تاريخية إسلامية غير متاحة في أي مكان آخر في العالم، يوفر للسياحة في المملكة مقوماً رئيساً للجذب السياحي.

(3) قطاع السياحة في المملكة يمثل مصدراً حيوياً متجدداً يمكنه المساهمة بصورة فاعلة في تنويع هيكل الاقتصاد ومصادر الدخل الوطني.

(4) قطاع السياحة في المملكة يسهم في تنمية المناطق الريفية والصحراوية، ورفع مستوى معيشة سكانها، الذي يؤدي بدوره إلى الحد من الهجرة إلى المدن الكبرى، وما يسببه ذلك من عدم توازن تنموي.

(5) يمثل قطاع السياحة أحد أهم مصادر التوظيف على المستوى المحلي.

(6) تطوير القطاع السياحي يؤدي إلى إحداث نمو وتطور متزامن في التجهيزات الأساسية.

(7) الاستثمار في السياحة يُوسِّع من الفرص الاستثمارية المتاحة للقطاعات المختلفة، كقطاع المقاولات، وقطاع الصناعة، والخدمات المتصلة بالسياحة.

(8) تتميز المملكة بمناطقها السياحية في مكة والمدينة وجدة والطائف وأبها والباحة وعسير، بتوافر أنماط سياحية متعددة ومتكاملة كالسياحة البحرية والجبلية والرملية والصحية والثقافية والبيئية.

الإعــلام الســياحــي

لقد أصبحت السياحة صناعة رئيسية على النطاق العالمي، ومن المتوقع أن تنمو نمواً متواصلاً. فقد زاد عدد السياح على المستوى الدولي إلى ثلاثة أمثاله خلال العقدين الماضيين، وارتفعت حصائل السياحة الدولية من 22 مليار دولار تقريباً، إلى حوالي 300مليار.

ومما يجدر تأكيده أنَّ السياحة ليست هي التي تؤدي إلى التنمية، وإنما التنمية العامة لبلد معين هي التي تجعل السياحة مربحة. ولذلك، لا تُعدُّ حصائل السياحة الدولية مؤشراً حقيقياً للدخل الحقيقي من السياحة، كما سبق تأكيد ذلك.

ومن ثم، يمكن القول إنَّ من أبرز المهام المناطة بالإعلام في مجال نشر الوعي السياحي في المجتمع ما يلي:

أولاً: تكثيف البرامج التوعوية من خلال النشرات الإرشادية حول الوعي السياحي الداخلي.

ثانياً: توجيه برامج إعلامية، خاصة بالمعالم السياحية الداخلية.

ثالثاً: تحفيز التدابير المحافظة على السمات المادية للسياحة البيئية المستدامة.

رابعاً: رعاية المواقع والمعالم التاريخية والحياة البشرية البرية.

خامساً: تخصيص مساحات إعلامية، خاصة بالتربية السياحية الوطنية، ونشر الوعي السياحي.

لذا، فإنَّ الإعلام السياحي يتعدَّى مجرد تغطية فعاليات المهرجانات السياحية.

ذلك أنَّ لدينا في جميع مدننا ومحافظاتنا العديد من المعالم السياحية والمناطق الأثرية، تلك العطرة بعبق التاريخ.

إنَّ الأدوار المنتظرة من جميع وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية كبيرة للغاية.

وهنا، تبدو الحاجة ماسة لوجود خطة وطنية إعلامية شاملة، لرفع مستوى الوعي السياحي، ونشر الإعلام السياحي في المجتمع، تعزيزاً للسياحة المستدامة.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	3
الفصل الأول : رؤى علمية	4
هوية الأمة	4
الاستشراق والاستغراب	6
نزيف العقول	8
الثقافة والمثقف	10
البحث العلمي	12
المكتبات والمكتبيون	14
الجغرافيا والجغرافي	16
الفصل الثاني : رؤى اجتماعية	18
شبح التقاعد	18
التحضر والتمدن	20
أمراض المجتمع	22
التفكك الأسري	24
الهندسة النفسية	26
عالم إسلامي بلا فقر	28
تنمية البشر	30
الجامعات والتوظيف	32
الفصل الثالث : رؤى اقتصادية	34
فطرة الاستهلاك	34
اقتصاد البيئة	36
الجوع والغذاء	38

الماء العذب 40
حقائق اقتصادية 42
العولمة الاقتصادية 44
عولمة الألفية الثالثة 46
البطالة وسوق العمل 48
الخدمات الاستشارية 50
اقتصاديات الوقت 52
الفصل الرابع : رؤى تقنية 54
تقنية الحاسوب 54
عصر الإنترنت 56
ثورة الانفوميديا 58
صناعة المعلوماتية 60
الفتوحات التقنية 62
عصر الديجتال 64
اختبار القدرات 66
الفصل الخامس : رؤى أدبية 68
أدب الطفولة 68
الطفل الموهوب 70
تدريس اللغة الإنجليزية 72
الأدب الإنجليزي 74
الفصل السادس : رؤى سياحية 76
صناعة السياحة 76
السياحة المستدامة 78
محددات السياحة المستدامة 80
الإعلام السياحي 82
فهرس الموضوعات 84